

الباب الرابع الحياة الثقافية في الدلتا

الفصل الأول: مراكز العلم والحياة فيها
الفصل الثاني : العلوم الدينية والدراسات الأدبية

الفصل الأول

مراكز العلم والحياة فيها عوامل ازدهار الحركة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي

بعد العصر الفاطمي من أزهى عصور مصر الإسلامية من الناحية العلمية فقد بلغت الحياة العلمية في مصر آنذاك ، درجة كبيرة من النمو والازدهار لكثرة العلماء الذين كانوا في مصر أو وفدوا عليها ونشطت حركة العلم والأدب والفن والعلوم العقلية والفلسفية في مصر والشام. (1)

ولقد حرص الخليفة المعز لدين الله منذ إقامته في مصر على نشر المذهب الفاطمي بين المصريين، واتخذ من دعاة الفاطميين وسيلة لنشر هذا المذهب. (2)

واتخذ المعز لدين الله وابنه العزيز من بعده الجامع الأزهر مكانا رئيسيا لاقامة الخطبة (3)، كما شجع الفقهاء على عقد حلقات الدراسة لتدريس المذهب الشيعي ونشر العلوم، كما اهتم الخليفة العزيز بالجامع الأزهر، فأمر بأفراد الجرايات، وتخصيص الأروقة بين طلاب العلم وتحول هذا الجامع إلى جامعة علمية. (4)

ومن مظاهر ازدهار الحياة الثقافية في العصر الفاطمي تشجيع الخلفاء الفاطميين للعلوم واهتمام الخليفة الحاكم بأمر الله بالعلوم الرياضية فعندما سمع عن نبوغ ابن الهيثم البصري في الهندسة والرياضيات استدعاه إلى مصر (5)، وتجلّى أثر ابن الهيثم في نشر الثقافة وازدهارها بعد وفاة الحاكم عام 411هـ/1020-1021م فأقام بجوار الجامع الأزهر وعمل بنسخ الكتب في علوم الفلك والرياضيات وغيرها من العلوم الطبيعية، وأخذ يؤلف الكثير من المؤلفات والتي كان من أهمها كتابه الشهير "المناظر في الفيزياء" الذي ظل مرجعا للدارسين والباحثين على مدى قرون طويلة. (6)

ويحدثنا ابن أبي أصيبعة أنه عندما وصل الطبيب المذهب ابن النفاش إلى الشام من بغداد وأقام بها مدة ولم يحصل على ما يفي به فعلم بتشجيع خلفاء الدولة الفاطمية بمصر

(1) احمد أمين: ظهر الاسلام، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 188.

(2) حسن ابراهيم حسن وآخرين: المعز لدين الله ، ص 290.

(3) المقرئى : الخطط، ج1، ص 353.

(4) المقرئى : الخطط، ج1، ص 273.

(5) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص 316-318.

(6) ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 551-552.

الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي

للعلماء واکرامهم واحسانهم إلى من يقصدهم اتصل بالقاضی الأجل السدید أبی منصور عبد الله بن الشیخ السدید ابی الحسن علی فوہب له الأموال وأقام فی مصر مکرمًا. (1)
ومما يدل علی تشجیع الخلفاء الفاطمیین للحركة العلمیة الوافدة من خارج مصر أنه عندما قدم إلى مصر القاضی عبد الوہاب بن علی أحد فقہاء المالکیة المجتہدین فی المذهب بضیق حالة ببغداد أکرمه المصریون بالرغم من مخالفته لهم فی المذهب وتوفی بمصر سنة 422ھ/ 1030-1031م. (2)

وکذلك نذكر محاولة الخلیفة المستنصر مع أبی العلاء المعری فی سبیل الحضور إلى القاهرة وبذل ما فی بیت المال له بمغرة النعمان ، لكنه لم یقبل منه شیئًا واعتذر عن ذلك. (3)

وكان الخلفاء الفاطمیون یحترمون العلماء علی الرغم من مخالفتهم لهم فی المذهب فكان الطاهر بن عوف أحد تلامذہ الطرطوشی علی مذهب مالک وكان فريد عصره یقول ابن فرحون (4) ، عنه " وعلیه مدار الفتوی" فكان یحظى بالتشجیع من جانب الخلیفة فأنشئت له مدرسة بثغر الاسکندریة فی عهد الخلیفة الحافظ. (5)
وکذلك كان الحافظ السلفی نزیل الاسکندریة یتمتع بمكانة سامیة لا تقل عن مكانة الطاهر بن عوف. (6)

كما تسامح الفاطمیون مع أهل الذمة، مما أدى إلى ظهور طائفة کبيرة منهم من الأطباء والعلماء فی عهدهم برعوا فی كافة فنون العلم. (7)
أولاً: مراكز العلم:

(1)الکتابیات :

من أهم وأسبق أنواع المعاهد التعلیمیة، وجودا فی العالم الاسلامی وقد اشتق اسمه من تعلیم الکتابة، وأصبح یطلق علی المكان الذی یتعلم فیہ الصبیان القرآن والقراءة والکتابة. (8)

(1) ابن أبی اصیبة : عیون الأبناء، ص 636.

(2) البغدادی: تاریخ بغداد، الجزء الحادی عشر، دار الکتب العلمیة، بیروت، ص 31.

(3) یاقوت : معجم الأدباء ، ج3، ص 142.

(4) الدیباج المذهب فی معرفة اعیان المذهب، القاهرة 1329ھ، ص 95 .

(5) ابن میسر : أخباء مصر، ج2، ص 13 ، هامش (2)

(6) الحوزی : سوءلات الحافظ السلفی، تحقیق مطاع الطرابیشی، مطبعة الحجاز، دمشق، 1976م، ص 9.

(7) قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فی مصر، ص 51.

(8) احمد شلبی : التریبة الاسلامیة، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصریة، القاهرة 1982م، ص 71-

الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي

واتخذ المسلمون منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الكتاب أو المكتب مدرسة يحفظ فيها أبناؤهم القرآن الكريم ويتعلمون مبادئ القراءة والكتابة، وقد ظل الكتاب ينمو شيئاً فشيئاً حتى انتشر بكثرة في مصر وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى. (1)

وكان الكتاب في مستهل الأمر يتخذ مكاناً في المسجد في زاوية من زواياه أو أمام محراب من محاريبه، كما هو الحال في الوقت الحاضر وذلك لما بين المسجد والكتاب من علاقة دينية تعليمية وثيقة ولكن بعد ذلك انفصل في أماكن مستقلة نظراً لبعث الأطفال بأثاث المسجد فضلاً عن التشويش على المصلين. (2)

وهذا الكتاب الذي استقل بعيداً عن المسجد قد يتخذ المعلم في حجرة من داره أو في أي مكان آخر ومما يسترعى الانتباه أن المسلمين في مصر وغيرها من البلدان لم يهتموا بزخرفة الكتاب أو تنسيقه في العصر الفاطمي ولا في غيره من العصور بل ظل على بساطته لفترة طويلة وحتى الوقت الحاضر كما نراه في قرى الدلتا وغيرها من قرى مصر. (3)

وكان منهج الدراسة بالكتاب وأهم مواد القرآن الكريم حيث يتعلم الصبي القراءة وأصول الدين يقول ابن خلدون (4) " اعلم ان تعليم الوالدان القرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم".

وكان الأطفال يلتحقون بالمكتب في سن مبكرة تتراوح أعمارهم بين سن السادسة والعاشرة لحفظ القرآن الكريم ويستخدمون الألواح للكتابة عليها. (5)

ومما يؤسف له حقاً برغم أهمية الكتاب البالغة في ازدهار الحركة الفكرية عبر العصور، فنجد المصادر التاريخية المتاحة لدينا تلتزم الصمت وتخلو من أية إشارة للكتاتيب بالدلتا.

(2) المساجد:

لا جدال في أهمية المسجد التعليمية فكان داراً للعبادة ومحكمة للتقاضي ومعهداً للتعليم، بحيث كانت المساجد تؤدي دور المدارس والجامعات في الوقت الحاضر حيث كان

(1) خطاب عطية على: التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي، القاهرة 1947م، ص 70.

(2) نفسه، ص 71.

(3) نفسه، ص 71.

(4) المقدمة: ص 473.

(5) Bayard Dodge : Muslim Education in Medieval times the middle East Washigton 1262, P. 3.

الناس يجلسون فيها حول العلماء يستمعون إلى ما يلقونه عليهم فيها من علوم وآداب واستمرت هذه الحلقات العلمية والأدبية تقام بجامع عمرو بن العاص في العصر الفاطمي ويشهدها عدد كبير من الأساتذة والطلاب ويدلنا على كثرة هذه الحلقات ما ذكره لنا المقدسي⁽¹⁾ الذي زار مصر سنة 375هـ/ 985م في عصر العزيز بالله في وصفه لهذه الحلقات فيقول " وبين العشاءين - المغرب والعشاء - جامعهم يغص بحلقات الفقهاء وأئمة القراء وأهل الأدب والحكمة دخلتها مع جماعة من المقاومة فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين دوروا وجوهكم إلى المجلس فتتظر فإذا نحن بين مجلسين على هذا جميع المساجد وعددت فيه مائة وعشر مجالس فإذا صلوا العشاء قام البعض إلى ثلث . وأكثر سوقهم إذا رجعوا من الجامع ولا نرى أجل من مجالس القراء به".

وهكذا يتضح لنا من هذه النصوص زيادة عدد الحلقات العلمية التي تضم عددا كبيرا من الأساتذة والطلاب فإذا كان عدد الأساتذة مائة وعشرين أستاذًا فكم يكون عدد الطلاب؟ هذا ما لم تمدنا به المصادر ولكننا نجزم بكثرة عدد الطلاب.

وبطبيعة الحال ان نظام الحلقات بالمساجد كان سائدًا في كافة البلاد⁽²⁾ " ومنها الدلتا حيث يشير المقدسي⁽³⁾ إلى ما مر به من المساجد في المحلة والاسكندرية ودمياط ويقول " ولا مدينة في مقياس علمنا هذا إلا بمنبر".

كما يتحدث ابن جبير⁽⁴⁾ عن مساجد الاسكندرية فيقول "وهي من أكثر بلاد الله مساجدا حتى ان منهم من يقول ان مساجدها اثني عشر ألفًا ومنهم من يقول ثمانية آلاف". بينما يضيف القلقشندي⁽⁵⁾ " ان مساجد الاسكندرية أحصيت في وقت من الأوقات فوجدت عشرين ألف مسجد".

كما أشار العمري⁽⁶⁾ " إلى مساجد الاسكندرية بقوله " بها الديار الجليلة والجوامع والمساجد". ويبدو أن هذه الأرقام مبالغ فيها وأن هذه المساجد كانت مصليات صغيرة وذلك لكثرة عددها.

(1) احسن التقاسيم : ص 205.

Bayard Dodge : Mslim Education , P. 7.

(2)

(3) احسن التقاسيم، ص 193.

(4) الرحلة، ص 47.

(5) صبح الأعشى، ج3، ص 404.

(6) مسالك الأبصار، ج1، ص 88.

وكان جامع العطارين من أشهر مساجد الاسكندرية للثقافة الإسلامية في العصر الفاطمي حيث شيده بدر الجمالي عند نزوله بثغر الاسكندرية في سنة 477هـ/ 1084م⁽¹⁾، ويشير الدكتور جمال الدين الشيال⁽²⁾ إلى خطأ المؤرخين الذين يذكرون ان بناء المسجد تم على يد القائد بدر الجمالي وزير المستنصر ولكن من الثابت أنه كان يقوم مكانه مسجد قديم فكل ما فعله بدر الجمالي أنه أعاد تجديده.

وساعد موقع الاسكندرية على شاطئ البحر المتوسط⁽³⁾، وسهولة الوصول إليها بطريق البر والبحر⁽⁴⁾، على أن تكون من أهم مراكز الثقافة آنذاك، فنزح إليها العلماء والفقهاء وطلاب العلم من كافة الأقطار النائية حيث وجد كل واحد منهم مسكناً يأوى إليه ومدرسا يعلمه ما يريد تعليمه.⁽⁵⁾

ومن أشهر العلماء الذين تصدوا للدرس ابن الفحام الصقلي وإليه انتهت رئاسة الأقرء بالاسكندرية⁽⁶⁾، والنحوى عبد الكريم بن على الطفال الاسكندري صاحب حلقة الجامع بالاسكندرية لاقرء النحو وعلوم العربية.⁽⁷⁾

وقد غدت المدينة مركزاً علمياً ثانياً بعد القاهرة يفد إليها أهل العلوم والآداب من المغرب والأندلس.

وكانت مساجد دمياط حافلة بطلاب العلوم الدينية وبالزوار من الفقهاء والشعراء والكتاب⁽⁸⁾، الذين سجل بعضهم مشاهداته كما فعل المقدسى⁽⁹⁾، إذ قال " بدمياط رباطات كثيرة حزبة ولهم مواسم كل سنة يقصدها المرابطون من كل جانب".

كما انتشرت المساجد بكثرة في تنيس فبلغت على حد قول ابن بسام مائة وستون مسجداً⁽¹⁰⁾، ولذلك نجد ان تنيس خرج منها جماعة من الفضلاء والعلماء والمحدثين والأدباء.⁽¹¹⁾

(1) Wiet : Repertoire V.7 , P. 225.

(2) تاريخ الاسكندرية، دار المعارف، القاهرة، 1967م، ص 42.

(3) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص 113.

(4) العمرى: مسالك الابصار، ص 89، والحميرى : الروض المعطار، ص 56.

(5) ابن جبير: الرحلة، ص 46.

(6) السيوطى : حسن المحاضرة، ج1، ص 283.

(7) القفطى : ابناه الرواه ، ج2، ص 191.

(8) نقولا يوسف: تاريخ دمياط، ص 115.

(9) احسن التقاسيم: ص 202.

(10) ابن بسام : انيس الجيس، ص 184.

(11) ابن دقماق: الانتصار، ص 78.

وحفلت مدن الدلتا الأخرى بالمساجد كدمنهور⁽¹⁾، وأبيار⁽²⁾، ومنوف⁽³⁾، والمحلة⁽⁴⁾ وبلغ اهتمام الفاطميين بالمساجد أقصاه في عهد الخليفة المستنصر ويصف ذلك ناصر خسرو⁽⁵⁾، بقوله " ولكل مسجد منها رعاية ونفقات يقدمها المشرفون عليها من زيت السرج والحصر والسجاجيد ورواتب القوم والفراشين والمؤذنين والقراء والفقهاء وغيرهم من أهل العلم والأدب".

(3) المدارس: (6)

أ-مدرسة الطرطوشى :

ولد محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهرى المعروف بالطرطوشى ببلد طرطوشة من بلاد الأندلس ، ورحل منها لطلب العلم لكافة بلاد الأندلس وأجاز له القاضى أبو الوليد الباجى بسرقسطة⁽⁷⁾، وأخذ عنه مسائل الخلاف ثم رحل إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ولحرصه على تحصيل العلم توجه إلى بلاد العراق فدخل البصرة وبغداد حيث تلقى العلم من أبى بكر الشاشى وابن سعيد المتولى وأبى سعيد الجرجانى من أئمة الشافعية كما سمع من أبى على الشترى بالبصرة ثم عزم على الرحيل إلى بلاد الشام حيث مكث بها مدة ودرس بها والتف حوله الناس وأخذوا عنه علما كثيرا وكان أماما عالما زاهدا ورعا دينيا متواضعا متقشفا .⁽⁸⁾

ثم رحل الطرطوشى إلى مدينة الاسكندرية فدخلها فى أعقاب فتنة الوزير الأفضل بن بدر الجمالى سنة 487هـ / 1094م والتى انتهت بقتل عدد من علمائها فوجد البلد عاطلا عن العلم فاقام بها وبث علما جما وكان يقول " ان سألنى الله تعالى عن المقام بالاسكندرية

(1) ابن دقماق: الانتصار، ص 101، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 402.

(2) ابن بطوطة: مهذب رحلة ابن بطوطة، ج1، ص 21.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 405.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 406.

(5) سفرنامه، ص 65.

(6) أول من بنى المدارس فى الاسلام الوزير نظام الملك قوام الدين الحسين بن على الطوسى، وكان وزير السلطان البارسلان السلجوقى، وكان يحب الفقهاء والصوفية ويقر بهم منه بنى المدرسة النظامية ببغداد وشرع فى بنائها سنة 456هـ.

انظر: السيوطى: حسن المحاضرة، ج2، ص 184.

(7) بلدة مشهورة بالأندلس تجاوز تطيلة .

انظر: ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص 71.

(8) ابن فرحون: الديباج المذهب فى معرفة اعياب المذهب، القاهرة 1329هـ، ص 276.

ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص 64.

لما كانت عليه في أيام الشيعة العبيدية من ترك إقامة الجمعة، وغير ذلك من المناكر التي كانت في أيامهم أقول وجدت قوما ضلالا فكنت سبب (في) هدايتهم". (1)

ولم يلبث أن ذاعت شهرته في الاسكندرية وقصده الطلاب والعلماء لكن الوزير الأفضل أخرجه من الاسكندرية وألزمه الإقامة بالفسطاط ومنعه من التدريس بسبب وشاية ضده من والى الاسكندرية آنذاك ابني حديد لأن الطرطوشى يعترض على سياسته الجائرة في تحصيل المكوس والمعونة على المظالم. (2)

وعندما أسندت الوزارة للمأمون البطائحي تعاطف مع الطرطوشى وأكرمه كثيرا فصنف له الطرطوشى كتاب سراج الملوك. (3) ومن مؤلفات الطرطوشى تعليقاته في مسائل الخلاف، وفي أصول الفقه وكتابه في البدع والمحدثات.

وكان الشيخ الطرطوشى قد تزوج بالاسكندرية امرأة ذات ثراء فحسنت أحواله ووهبت له دارا كبيرا فاتخذ من الدور العلوى سكنا له ولزوجته وجعل قاعاتها السفلى للطلبة فجعلها مدرسة ولأزم التدريس بها وتفقه عنده جماعة من أهل الاسكندرية. (4)

وكان للشيخ الطرطوشى طريقته الفريدة فيلقاء دروسه إذا كان يصحب طلابه في رحلات خارج المدينة في أكثر الأوقات حيث الهدوء والراحة والبعد عن الضوضاء، وقد استهوت هذه الطريقة عددا كبيرا من الطلبة الذين أقبلوا على دروسه حتى قارب عددهم أربعمئة طالب وكان يقوم على خدمة الشيخ وقضاء حوائجه أحد تلاميذه وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على النجيبى الذى يصف نزاهات شيخه بقوله " كان صاحب نزهة مع طلبته في أكثر الأوقات يخرج معهم إلى البستان فيقيمون الأيام المتوالية في فرجة ومذاكرة ومذاعبة مما لا يقدح في حق الطلبة بل يدل على فضلهم وسلامة صدورهم " قال وخرجنا معه في بعض النزهة فكنا ثلاثمائة وستين رجلا لكثرة الآخذين عنه المحبين لصحبته وخدمته. (5)

ويعلق الدكتور عبد الغنى محمود (6) ، عبد العاطى على هذه المدرسة بقوله ولعلنا نقف هنا وقفة قصيرة أمام هذه المدرسة فالمعروف ان دور العلم الذى أنشئت قبل ذلك كانت

(1) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص 278.

(2) ابن فرحون : المصدر السابق، ص 277.

(3) السيوطى: حسن المحاضرة، ج1، ص 257، ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص 63.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 276- 277.

(5) ابن فرحون : الديباج المذهب، ص 277.

(6) (التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، القاهرة، ص 39- 40.

الدولة هي التي تقيمها وتبناها وتقوم بالانفاق عليها سواء في دار العلم أو المساجد بالقاهرة التي كانت تتفق عليها الدولة الفاطمية، وتحدد العلوم التي تدرس فيها، أما هذه المدرسة فلم تكن في حقيقة أمرها مدرسة بالمعنى العلمي الذي عرف فيما بعد بمعنى أنه لم تتوافر لها أركان المدرسة من وقف يدعمها ويحدد عدد المدرسين والطلاب الذين يدرسون فيها نوع الدراسة وإنما كانت اشبه بحلقة دراسية التف فيها مجموعة من طلاب العلم حول شيخ سمعوا بفضله وعلمه للأخذ عنه ولذا أطلق عليها مدرسة تجاوزا بوصفها مكانا للدرس دون أن تتوفر بها أركان المدرسة، كما هو معروف في مصطلح تاريخ العصور الوسطى.

ب- مدرسة أبو طاهر بن عوف: (1)

أسس هذه المدرسة أبو طاهر بن عوف أحد تلامذة الطرطوشي النابغين الذين تتلمذوا في مدرسته على مذهب الامام مالك، وكان ابن عوف أمام عصره وفريد دهره في الفقه على مذهب الامام مالك وعليه مدار الفتوى وجمع إلى ذلك الورع والزهد مع كثرة العبادة والتواضع التام ونزاهة النفس⁽²⁾، أقيمت هذه المدرسة بثغر الاسكندرية على يد الوزير رضوان بن ولخشي⁽³⁾، وهي أول مدرسة أسست في الاسكندرية ويطلق عليها اسم المدرسة الحافضية نسبة إلى الخليفة الحافظ⁽⁴⁾.

لقد ساعد موقع الاسكندرية الفريد على استقرار المرابطين والفقهاء ومن يفد إليها رغبة في تحصيل العلم فاهتم الخليفة الحافظ بإنشاء المدرسة بالثغر لجمع شمل العلماء وفي هذا الصدد يذكر لنا القلقشندي سجلا بإنشائها في غاية الأهمية، ويعتبر من الوثائق النادرة للعصر الفاطمي. "... وإن طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه والطارئين عليه مشتتو الشمل متفرقوا الجمع" "أبى أمير المؤمنين ان يكونوا حائرين متلذذين ولم يرضى لهم أن يبقوا مذبذبين متبذدين وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافضية بهذا الثغر المحروس بشارع المحجة منا عليهم وانعاما ومستقرا لهم".⁽⁵⁾

واشتملت مباني المدرسة على مساكن للطلاب لكي تكون "مستقر لهم ومقاما ومثوى لجميعهم ووطنا ومحلا لكافتهم وسكنا".⁽⁶⁾

(1) اسماعيل بن مكى بن اسماعيل بن عيسى بن عوف الزهرى ينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف صاحب رسول الله (ص) (485هـ - 581هـ / 1092 - 1158م).

(2) ابن فرحون : الديباج المذهب، ص 95.

(3) ابن ميسر : اخبار مصر، ج2، ص 257-258.

(4) ابن ميسر : المصدر السابق، ص 13 هامش (2).

(5) القلقشندي : صبح الأعشى، ج 10، ص 458.

(6) نفسه، ص 458.

كما رتب لهم الخليفة كافة المستلزمات التي يحتاجون إليها في معاشهم أثناء إقامتهم بالمدرسة إذ يذكر السجل " وأن يكون ما ينصرف إلى مؤنة كل منهم والقيام بأوده واعانتة على ما هو بسبيله ويحدده من عين وغلة مطلقا من ديوانه".⁽¹⁾

وأسند الخليفة الحافظ إلى أبي الطاهر بن عوف مهمة التدريس والإشراف على شئون هذه المدرسة نظرا لكفايته العلمية في العلوم الشرعية⁽²⁾، والتدريس بالمدرسة اقتصر على علوم الشريعة كما حددها السجل " وأمر أمير المؤمنين أن تدرس علوم الشريعة للراغبين وتعلم ما علمك أياه لمن يريد ذلك من المؤثرين والطالبين".⁽³⁾

كما يناشد المرسوم الموظفين بثغر الاسكندرية الاهتمام بأمر المدرسة وطلبة العلم النازلين فيها والاهتمام بمصالحهم وان يتلى هذا المنشور بالمسجد الجامع، وان يحفظ السجل بالمدرسة حجة بما تضمنه حماية لهم من سطوة أى متطرف من الأمراء أو الوزراء الشيعة إذ ينص السجل " وليخلج بهذه المدرسة حجة بما تضمنه إن شاء الله عز وجل".⁽⁴⁾

وقد استمرت هذه المدرسة قائمة بالاسكندرية تؤدي رسالتها حتى نهاية الدولة الفاطمية وسقوطها على يد صلاح الدين الايوبي فحظى عنده ابن عوف بمكانة كبيرة وكان صلاح الدين يرأسه ويستفتيه وقيل ان ابن عوف كان السبب في تجديد الصادر بثغر الاسكندرية وهو شئ وظفه صلاح الدين على تجار النصارى إذا صدروا من الاسكندرية حتى زائدا على العشر رتبة لفقهاء الثغر دنانير تصرف كل شهر"⁽⁵⁾. وقصده صلاح الدين وسمع منه الموطأ.⁽⁶⁾

(1) نفسه، ص 459.

(2) نفسه، ص 459.

(3) نفسه، ص 459.

(4) القلقشندي : صبح الأعشى، ج1، ص 459.

(5) نفسه، ص 459.

(6) الصفدي : الوافي بالوافيات، ج9، ط2، باعتناء يوسف خان اس بيروت 1981م، ص 328.

- السيوطي : حسن المحاضرة ، ج1، ص 257.

- ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص 268.

ج- مدرسة الحافظ السلفي : (1)

ولد أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي الملقب بصدر الدين بمدينة أصبهان⁽²⁾ ، في سنة 475هـ / 1082م أو قبلها في بيت أشرقت فيه أنوار العلم، وكان أبوه أحمد من أهل العلم والتقوى وانعكست هذه البيئة العلمية على أبي الطاهر حيث كرس اهتمامه لتحصيل العلم، ولذلك تصدر للتدريس وهي صبي في سن السابعة من عمره ولكن طموحه البعيد ان يحفزه على السفر والارتحال ففي رمضان سنة 493هـ / 1099م رحل عن موطنه فكان ذلك فاتحة جولة علمية واسعة في الآفاق استغرقت ثمانية عشر عاما في طلب الحديث.⁽³⁾

وبدأ جولته العلمية ببغداد وتلقى العلم من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر أبي الحسين ابن الطيوري وآخرين، ثم رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج ومنها توجه إلى بلاد الشام ثم إلى خراسان وأخذ يجوب كافة البلاد لتحصيل العلم والتقوى بالهجرة⁽⁴⁾، في مدينة واسط.⁽⁵⁾

وكتب عنه أجوبة الأسئلة ، وعكف الحافظ السلفي تسعة أعوام على قراءة القرآن وكتابة الحديث والفقه والأدب والشعر⁽⁶⁾، وفي سنة 510هـ / 1116م ركب البحر من صور إلى الاسكندرية وبدأت في حياته صفحة العطاء والاستقرار وأقام بالاسكندرية⁽⁷⁾، وقصده الناس من كافة البلاد للاستفادة من علمه⁽⁸⁾، وكان دوؤبا على المطالعة والنسخ وتحصيل

(1) سلفة لقب أحد أجداده وهو لفظ عجمي معناه بالعربية ثلاث شفاه لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة فصارت شفتين.

الحوزي : سوءلات الحافظ السلفي، ص 7.

- الصفدي: الوافي بالوافيات، ج7، ط2، باعتناء احسان عباس، بيروت، 1981م، ص 351-352.

- ابن خلكان: وفيات الأعيان، المجلد الأول، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص 107.

(2) أصبهان مدينة عظيمة وهي من نواحي الجبل في آخر الاقليم الرابع.

ياقوت : معجم البلدان ، ج1، ص 206.

(3) الحوزي : سوءلات الحافظ السلفي، ص 8.

(4) أبو الكرم خميس بن علي بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن سلامويه الحوزي ت 510هـ / 1116م.

(5) تقع واسط على جانبي دجلة وهي مدينة انشأها الحاج بن يوسف وهي كثيرة الشجر والنخل.

انظر : ابن حوقل : صورة الأرض، ص 214.

(6) الحوزي: سوءلات الحافظ السلفي، ص 8-9.

(7) الحوزي: المصدر السابق، ص 9 ، والصفدي : الوافي بالوافيات، ج7، ص 357.

(8) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج1، ص 44.

الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي

الكتب⁽¹⁾، وكان فريد عصره فامتدحه الذهبي بقوله " ولا أعلم أحد مثله"⁽²⁾، ويقول الصفدي⁽³⁾ " وكان اماما مقرنا مجودا حافظا جهبذا فقيها نحويا ماهرا لغويا محققا، ثقة فيما ينقله حجة ثبنا انتهى إليه علو الإسناد في البلاد".

وتزوج السلفي بالاسكندرية من امرأة ذات يسار فوفرت له الأموال اللازمة وبنى له العادل أبو الحسن علي بن السلار وزير الظافر الفاطمي في سنة 546هـ/ 1151م مدرسة بثغر الاسكندرية وأسند إليه مهمة التدريس فيها⁽⁴⁾، وكان لإنشاء هذه المدرسة فرحة كبيرة عند أهل الاسكندرية وعبر أحد شعرائهم عن فرحته بقصيدة يمدح فيها العادل بن السلار ويفخر بوجود هذه المدرسة بالاسكندرية.⁽⁵⁾

وكان الحافظ السلفي يتمتع بمكانة عظيمة عند الخلفاء الفاطميين رغم مخالفته لهم في المذهب ، ولعلمه الغزيز نجد صلاح الدين يتقرب إليه بل يرحل هو واخوانه للسماع عليه.⁽⁶⁾

د- الخانقاوات والربط والزوايا:

الخانقاه:

من معاهد العلم التي انتشرت بالاسكندرية الخانقاه⁽⁷⁾، وهو فارسية ومعناها البيت وهي حديثة في الاسلام في القرن الرابع الهجري، وجعلت لتخلي الصوفية فيها للعبادة

(1) ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص 255.

(2) الحوزي : المصدر السابق، ص 9 ، وابن العماد: المصدر السابق، ص 255.

(3) الوافي بالوافيات ، ج7، ص 352.

(4) الحوزي : المصدر السابق، ص 9 والصفدي: الوافي بالوافيات ، ج7، ص 357.

- ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج1، ص 44.

- السبكي : طبقات الشافعية ، الجزء السادس، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الفتاح محمد الخلف

وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1968م، ص 37.

- ابن العماد : المصدر السابق، ص 255.

- شوقي ضيف : عصر الدول والامارات، دار المعارف القاهرة 1984م، ص 80.

- محمد ز غلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي، ص 157.

- عبد اللطيف حمزة : الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية ، سلسلة الألف كتاب رقم 242 مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 25.

(5) ومن أبيات هذه القصيدة:

لله در العادل المرتجي	ذى العز والتأييد والنصر
أنشأها لنا مدرسة مثلها	لم ينشئ في دهر ولا عصر
بغداد دار العلم فلم تقهر	بمثلها قط على مصر

- جمال الدين الشيال : أعلام الاسكندرية، ص 140.

(6) الحوزي : سوءلات الحافظ السلفي، ص 9.

- الصفدي : الوافي بالوافيات ، ج7، ص 354.

(7) ابن بطوطة : مذهب رحلة ابن بطوطة، ج1، ص 12، والقافشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 404.

والتصوف ، وأول من أحدث الخانقاه في الاسلام صلاح الدين الايوبى ، فكانت الخانقاه التى أنشأت دارا تعرف بأولاد سعيد السعداء نسبة إلى الاستاذ قنبر سعيد السعداء عتيق الخليفة المستنصر ، وكانت هذه الدار مقابل الوزارة. (1)

الرباط:

من أعظم المراكز العلمية ، وهى لا تقل أهمية عن المسجد من حيث كونه مكانا تشع منه الدعوة للاسلام (2)، وأطلق المسلمون على الحدود التى تجاور بلاد العدو ثغرا، والثغر الذى يدافع أهله عن الاسلام اسم رباط (3) ، وقد جاءت كلمة رباط من قوله تعالى " وصابروا وربطوا". (4)

وانتشرت الأربطة فى مدن الدلتا الساحلية فى ثغر الاسكندرية (5)، ودمياط أما تنيس فكان يربط بها جيش كامل السلاح لحمايتها من غارات الفرنج والروم. (6) يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن (7)، كان العلماء والشعراء الذين يفضلون حياة التقشف والراحة يلجأون إلى هذه الثغور للتفرغ للدرس والبحث ويمتاز الرباط إلى جانب طابعه الحربى بأن له وظيفته الدينية للعبادة وتلاوة القرآن والفقه فى الدين.

الزوايا:

ومن معاهد العلم الزاوية فيحدثنا ابن بطوطة (8)، عند زيارته لمدينة دمياط بقوله " وبدمياط زاوية لقيت بها شيخها المعروف بابن قفل وبها زاوية الشيخ جمال الدين " وكذلك انتشرت الزوايا فى الاسكندرية (9)، وقليوب. (10) ويجب على المدرس الذى يقوم بالتدريس فى الزوايا ان يتصف بسعة العلم والتضلع فى الفنون ويتصف بالعدل ويهتم بتربية الطلبة وتأديبهم وشرح ما يصعب فهمه عليهم ، وتشجيع النابغين منهم. (11)

(1) المقرئى : الخطط، ج1، ص 414- 415 ، والسيوطى: حسن المحاضرة ج3، ص 187.

(2) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج4، ص 436.

(3) ياقوت : معجم البلدان، ج2، ص 79، والمقرئى : الخطط، ج2، ص 427.

(4) سورة آل عمران الآية 200.

(5) ابن بطوطة: مذهب رحلة ابن بطوطة، ج1، ص 12، والقلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 404.

(6) ناصر خسرو : سفرنامه، ص 40.

(7) تاريخ الاسلام، ج4، ص 437.

(8) رحلة ابن بطوطة، ج1، ص 24.

(9) القلقشندي : صبح الأعشى، ج3، ص 404.

(10) ابن دقماق: الانتصار، ص 48.

(11) القلقشندي : صبح الأعشى، ج3، ص 501.

ثانياً: الحياة العلمية :

لم تقتصر النهضة العلمية في العصر الفاطمي على القاهرة فحسب بل امتدت إلى كافة اقاليم مصر ، وقد ساهم أبناء الدلتا في تلك النهضة ولم يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء هذا الأزدهار الملحوظ فخرج من الدلتا علماء في كافة فروع العلم كالطب واللغة والنحو والتاريخ والجغرافيا والرحلات.

1- الطب:

اهتم الفاطميون بالطب لأنه من أهم العلوم التي ترتبط بصحة الانسان ويشير إلى ذلك ابن خلدون⁽¹⁾ ، بقوله "وهي صناعة تنتظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح". ومن أشهر أطباء الدلتا الأسعد المحلى هو أسعد الدين يعقوب ابن اسحق اليهودي من مدينة المحلة الكبرى له دراية واسعة في أمور الحكم والاطلاع على دقائقها. ومن مؤلفات الأسعد في علوم الطب مقالة في قوانين طبية وهي مكونة من ستة أبواب ، وكتاب المنزه في حل ما وقع من إدراك البصر في المرايا من الشبه ، وكتاب في مزاج دمشق ووصفها وتفاوتها من مصر وانها أصح وأعدل ، وفي مسائل أخرى في الطب واجوبتها وهو يحتوي على ثلاث مقالات.⁽²⁾ ومن الأطباء الذين نزلوا بالاسكندرية امية بن عبد العزيز بن أبي اصلت الأندلسي كانت له خبرة واسعة في الطب ، ومن مؤلفاته كتاب الأدوية المفردة.⁽³⁾

2- علم اللغة النحو :

ازدهرت الدراسات في علوم اللغة والنحو في الدلتا ، ومن أبرز علماء اللغة في عصر الحاكم بأمر الله العالم المشهور أحمد بن مطرف بن اسحاق القاضي وله مجموعة من التصانيف الأدبية منها " كتاب في النوائح " وهو كتاب كبير في علم اللغة " ورسالة في الضاد والطاء " أرسلها إلى الشريف ابى الحسن محمد بن القاسم عامل تنيس.⁽⁴⁾ وكذلك احمد بن مطرف المتوفى سنة 413هـ / 1022م الذي ولى قضاء دمياط له تصانيف أدبية ولغوية.⁽⁵⁾

(1) المقدمة ، ص 411.

(2) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 583 – 584.

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 514.

- ابن العماد : شذرات الذهب، ج4، ص 144.

(4) ياقوت : معجم الأدباء، ج5، ص 63.

- الصفدى : الوافى بالوافيات ، ج8، ط2، باعتناء محمد يوسف نجم، ص 181.

(5) ياقوت : معجم الأدباء ، ج5، ص 63- 64 والصفدى : الوافى بالوافيات ، ج8، ص 181 =

ومن أعظم علماء النحو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن أحمد بن يوسف الحوفي المتوفى سنة 430هـ/1038م، أصله من قرية شبرا من حوف بلبيس، أخذ العلم على أبي بطر الأدفوي⁽¹⁾، كما أخذ العلم عن جماعة من علماء المغرب.⁽²⁾ ومن أبدع تصانيفه كتابه "في أعراب القرآن" يقع في عشر مجلدات، وصنف في النحو مصنفًا كبيرًا⁽³⁾، يقول عنه القفطي⁽⁴⁾ "عنى به النحويون استوفى فيه العلل والأصول".

وكان الحوفي من أئمة اللغة والأدب في عصره وتلمذ عليه كثيرون من الطلاب يقول ابن خلكان⁽⁵⁾ "رأيت خطه على كثير من كتب الأدب قد قرئت عليه وكتب لاربابها بالقراءة كما جرت المشايخ" ومن مؤلفاته الأرشاد لطريق خبر العباد والعباد.⁽⁶⁾ ومن جملة أرباب اللغة والنحو ابن عبد الجبار بن علي بن عبد الجبار بن سلامة بن غيدون (ولد سنة 428هـ/1036-1037م) وتوفى سنة 516هـ/1117-1118م وكان اماما في اللغة حافظا لها حتى أنه لو قيل لم يكن في زمانه أعلم منه لما استبعد وكانت له قدرة

- = - محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة 1950م، ص 119.
- (1) ياقوت : معجم الأدباء ج 12، ص 221-222، وياقوت : المشترك، ص 149.
- القفطي : أبناه الرواه، ج2، ص 219. وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج3، ص 300.
- اليمانى : إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث 1986م، ص 206.
- السيوطي : بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة، دار المعرفة، بيروت، ص 325.
- السيوطي : حسن المحاضرة، ج1، ص 206، وابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص 247.
- شوقي ضيف : المدارس النحوية، الطبعة الخامسة، دار المعارف القاهرة، ص 334.
- شوقي ضيف : عصر الدول والامارات ص 116، وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص 348.
- خضر احمد عطا الله : الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 384.
- السيد طه ابو سديرة : الحركة العلمية في مصر الفاطمية، مطبعة محسن بسوهاج، 1988م، ص 167.
- احمد كامل محمد صالح : مصر بين المذهب السني والمذهب الاسماعيلي في العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1987م، ص 193.
- (2) (القفطي : ابنه الرواه، ج2، ص 219.
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ج3، ص 300.
- (3) (القفطي : ابنه الرواه، ج2، ص 220.
- ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج3، ص 300.
- (4) ابنه الرواه، ج2، ص 220.
- (5) وفيات الأعيان، ج3، ص 300.
- (6) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء الأول، دار العلوم الحديثة، بيروت، ص 62.

الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي

فائقة على نظم الشعر قال الحافظ السلفي فكانت له قدرة فائقة على نظم الشعر وله قصائد ، وقد اجبته عنها، ومن جملة شعره قصيدة في الرد على البغدادى فيها احد عشر الف بيت على قافية واحدة وفيها فوائد ادبية. (1)

ومن اشهر النحاة حسن بن على الاسكندراني كان موجودا فى سنة 507هـ / 1113-1114م (2).

والحسن بن جعفر بن حسن بن عبد الرحمن بن مروان الاسكندراني الذى صنف كتابا فى النحو سماه المذهب ذكر فيه انه قرأ النحو على أبى الحسن مكى بن محمد بن عيسى بن مروان بالاسكندرية فى حدود سنة 517هـ / 1023م. (3)

ومن أبرز علماء النحو بالغربية خزعل بن عسكر بن خليل رحل إلى العراق وتلمذ على ابن الانبارى عبد الرحمن المعروف بأبى البركات. (4)

ومن أعظم علماء النحو عبد المنعم بن صالح بن احمد بن محمد القرشى التميمي الاسكندراني المتوفى سنة 633هـ / 1235م- 1236م تلقى علم النحو من ابن برى وسمع من حماد الحراني ، وكان علامة ديار مصر ادبا ونحو (5)، وكذلك عبد الكريم بن محمد بن على بن الطفال من اعظم النحاة فى عصره فكان صاحب حلقة الجامع بالاسكندرية لتدريس النحو . (6)

ومن علماء النحو بالدلتا الذين نزحوا إلى بلاد الشام على بن محمد السخاوى أصله من بلدة سخا تلقى علم النحو من الشاطبي وغيره ورحل إلى دمشق واشتغل بالتدريس بجامع دمشق ، وتلمذ عليه كثير من الطلاب. (7)

ومن أشهر علماء النحو الذين نزلوا بالاسكندرية ابراهيم بن محمد بن سليمان البحصبي من المشهورين بالادب والنحو أقام بمكة ثم رحل إلى الاسكندرية سنة 548هـ / 1154م وتلمذ على ابى الركب النحوى المشهور. (8)

ومن علماء النحو فى أواخر العصر الفاطمي الحسن بن حيون من مواليد سخا سنة 563هـ / 1168- 1169م المشهور باللغوى النحوى الأديب. (9)

(1) محمد زغلول سلام : الادب فى العصر الأيوبي، ص 161.

(2) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ، الجزء الثالث، مطبعة الترقى، دمشق 1957م، ص 249.

(3) السيوطى : بغية الوعاة، ص 218، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، ج3، ص 212.

(4) القفطى : ابنه الرواه ، ج1، ص 353.

(5) السيوطى : بغية الوعاة ، ص 315.

(6) القفطى : ابنه الرواه، ج2، ص 191.

(7) القفطى : ابنه الرواه، ج2، ص 311- 312 .

(8) السيوطى : بغية الوعاة ، ص 186.

(9) السيوطى : بغية الوعاة ، ص 233.

وكذلك عبد الرحمن بن احمد بن المنذر قاضى الاسكندرية المعروف بالأبحر تتلمذ على أبيه أبى بكر الطرطوشى وكان عالما فاضلا ومتمكنا فى الفقه والنحو واللغة والحديث والأدب توفى سنة 568هـ / 1172-1173م.⁽¹⁾

3- علم التاريخ :

ازدهرت حركة التأليف من علم التاريخ فى العصر الفاطمى ، ومن اعلام الرواة والمحدثين الذين عاشوا بالقرب من الأحداث الحسن بن ابراهيم الليثى المعروف بابن زولاق المتوفى سنة 387هـ / 997م وهو حجة لا يستهان به فى تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين لانه كان مصريا فض عن شهرته وسعة اطلاعه فى مادة التاريخ ، وصنف لنا عدة كتب هامة ومنها "كتاب فضائل مصر"⁽²⁾، و"كتاب قضاة مصر" الذى جعله المؤلف ذيلا لكتاب القضاة لآبى عمر الكندى إلى سنة 296هـ / 908م كما ألف سيرة كافور وجوهر والمعز والعزیز.⁽³⁾

وكذلك ذكر الحسن بن على الشابشتى المتوفى سنة 388هـ / 998م حيث اتصل بخدمة الخليفة العزيز ، فعينه على خزانة كتبه ، وصنف كتاب "الديارات" وذكر فى كتابه اخبارا عن الأديرة فى العراق والموصل وسورية والجزيرة ومصر.⁽⁴⁾

ومن أعظم المؤرخين الأمير المختار عز الملك محمد بن أبى القاسم عبد الله بن احمد المعروف بالمسيحى المتوفى سنة 420هـ / 1029م الذى كتب عن مصر كتابا مسهبا هو "تاريخ مصر" يقع فى ستة وعشرين ألف صفحة⁽⁵⁾ ، وهو من جملة مؤلفاته التى بلغت الثلاثين⁽⁶⁾، وأشاد بذكره ابن خلكان⁽⁷⁾ ، وأبو المحاسن⁽⁸⁾، بقولهما "انه التاريخ الجليل الذى سيتثنى بمضمونه من غيره من الكتب الواردة فى معاينة وهو شامل لأخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والائمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية".

وشهد العصر الفاطمى مؤرخا له مكانته فى حركة التاريخ المصرى، وهو القضاء أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الشافعى، ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع الهجرى وتولى قضاء مصر، وكان القضاء من النابغين فى الكتابة حتى صار من

(1) السيوطى : بغية الوعاة ، ص 297.

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج2، ص 91.

(3) ياقوت : ارشاد الأريب ، ج3، ص 7.

(4) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج1، ص 426-427.

(5) يقول ابن خلكان (ج1، ص 653) أنها وقعت فى ثلاثة عشر ألف ورقة.

(6) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج1، ص 516.

(7) وفيات الأعيان ، ج1، ص 516.

(8) النجوم الزاهرة، ج4، ص 271.

كتاب البلاط مما جعل الوزير أبا القاسم الجرجاني الذي تقلد الوزارة سنة 418هـ/ 1027م وتوفي سنة 436هـ/ 1044 - 1045م يقلده أهم المناصب.⁽¹⁾

ومن مؤلفات القضاء كتاب " عيون المعارف وفنون اخبار الخلايف " وكتاب " مناقب الإمام الشافعي " وكتاب " تواريخ الخلفاء " وكتاب " خطط مصر ".⁽²⁾

ومن أشهر المؤرخين الذين ساهموا في حركة التأليف في هذا المجال بالاقليم ابو القاسم عبد المحسن بن عثمان بن غنايم توفي بعد سنة 413هـ/ 1022م حيث صنف كتابا عن تنيس سماه "العروس في فضائل تنيس".⁽³⁾

ومما يؤسف له حقا ان هذا الكتاب مفقود . كما برز ابن بسام وهو محمد بن احمد بن بسام المحتسب التنيس من علماء أواخر القرن السادس الهجري حيث ألف كتابا قيما هو " انيس الجليس في اخبار تنيس " هو من امتع الكتب عن مصر الاسلامية في تلك الفترة حيث أمدنا بمعلومات قيمة.⁽⁴⁾

4-الجغرافيا والرحلات:

كان لاتساع نطاق التجارة في العصر الفاطمي اثره الكبير في تسهيل وتمهيد السبيل أمام الكاشفين والرحالين ، فظهر كثير منهم قاموا برحلات مهمة ووضعوا في وصفها الكتب والأسفار ، ووصفوا ما شاهدوه في البلدان التي اختلفوا إليها وصفا دقيقا مبنيا على المشاهدة ، وبذلك خلف لنا جغرافيو المسلمين ثروة كبيرة هي خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم التي اكتسبوها من أسفارهم في كثير من الأقاليم والممالك الاسلامية والبلدان.⁽⁵⁾

ومن أشهر الجغرافيين الذين رحلوا إلى مصر في بداية حكم الفاطميين لها ابن حوقل⁽⁶⁾، البغدادى الذى طاف العالم الاسلامى شرقه وغربه ويقول ابن حوقل فى مقدمة كتابه " المسالك والممالك " والمعروف بصورة الارض " وقد عملت هذا الكتاب على صفة أشكال الأرض ومقدارها بالطول والعرض وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما يفرد بالأعمال المجموعة إليها، ولم أقصد الاقاليم السبعة إلى ما عليها قسمة الأرض لأن الصورة الهندسية وان كانت صحيحة فكثيرة التخطيط وقد جعلت لكل قطعة افردتها تصويرا وشكلا ، يحكى موضع ذلك الاقليم ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاع وما فى أضعافها من المدن والأصقاع ، وما فيها من

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج1، ص 463.

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج1، ص 585.

(3) السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربى، بيروت 1979م، ص 125.

(4) الوطواط: مباهج الفكر، ص 130، هامش (1).

(5) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص 520.

(6) صورة الأرض، ص 10.

القوانين والارتفاع وما فيها من الأنهار والبحار وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم عل وجوه الأموال والجبايات والأعشار والخراجات والمسافات في الطرق".

ويقول الدكتور زكي محمد حسن⁽¹⁾ ، عن ابن حوقل بأنه اتصل بخدمة الفاطميين وقد ذهب المستشرق الهولندي دوزي (DOZY) إلى أن هذا الرحالة كان يتجسس ويعمل لحساب الفاطميين في الأندلس ، فانهم كانوا في بادئ الأمر يتطلعون إلى فرض نفوذهم على تلك البلاد ويحاولون جمع المعلومات بشتى الطرق.

ومن أبدع ما دونه ابن حوقل وصفه لمدينة تنيس ودمياط اذ يستهل حديثه عنهما بقوله " ومن جليل مدنها وفاخر خواصها ما خصت به تنيس ودمياط وأشار إلى انعدام حرفة الزراعة هناك، وإلى اشتغال الأهالي بصناعة الملابس من الكتان والمصبغات من الحل التنسية ذات القيمة العالية⁽²⁾، كما أشار إلى الطريق الذى يربط الفسطاط بالاسكندرية وذكر البلاد الواقعة عليه⁽³⁾، وإلى حركة السفن الصاعدة والنازلة ببحيرة تنيس⁽⁴⁾.

ومن أشهر الجغرافيين والرحالة فى القرن الرابع الهجرى شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشارى المقدسى المتوفى سنة 387هـ/ 997م يزخر هذا الكتاب بالمعلومات الجغرافية والتاريخية⁽⁵⁾، قال المقدسى⁽⁶⁾ " يصف محاسبين كتابه " وما تم لى جمعه إلا بعد جولاتى فى البلدان ودخولى اقاليم الاسلام ولقائى العلماء وخدمتى الملوك ومجالستى القضاة ودرسى على الفقهاء واختلافى إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين مع لزوم التجارة فى كل بلد والمعاشرة مع كل أحد".

ولقد زار المقدسى مصر فى العصر الفاطمى وامدنا بوصف ممتع لمدن الدلتا فاشا رالى مدينة الفرما الواقعة على ساحل البحر المتوسط بانها " عامرة أهلة عليها حسن وبها أسواق حسنة".⁽⁷⁾

(1) الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ص 41.

(2) ابن حوقل: صورة الارض، ص 143.

(3) نفسه، ص 132.

(4) نفسه، ص 146.

(5) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص 521.

(6) احسن التقاسيم ، ص 3.

(7) نفسه، ص 195.

كما اشار إلى مدينة بلبيس قصبة الحوف وشهرتها بالقمح الذي كان يرسل من قرية مشتول الطواحين التابعة لبلبيس لبلاد الحجاز اسبوعيا⁽¹⁾، واعجب المقدسى بمدينة الاسكندرية فامتدحها بقوله "الاسكندرية قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع، وهو بلد شريف"⁽²⁾، وأشار إلى مدينة تنيسى بقوله "هى بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب."⁽³⁾

ومن أعظم الرحالة ناصر خسرو الذى قام بجولات فى أنحاء ايران وتركستان والهند وبلاد العرب، وقد ترجمت رحلة ناصر خسرو إلى اللغة الفرنسية وأصبحت مصدرا أساسيا فى دراسة الحضارة الإسلامية فى الشرق الإسلامى فى القرن الخامس الهجرى.⁽⁴⁾ لقد زار ناصر خسرو مصر فى عهد الازدهار ومر بمدن الدلتا وسجل انطباعه عنها وهو يعتبر من أدق ما وصلنا ، فأشار إلى مدينة تنيس بالمشآت التجارية وإلى صناعة النسيج ومحاولات الملوك والأباطرة للحصول على كسوة السلطان⁽⁵⁾، وإلى طريقة أهل تنيس فى تخزين المياه.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ نفسه، ص 195.

⁽²⁾ نفسه، ص 196-197.

⁽³⁾ نفسه، ص 201.

⁽⁴⁾ زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ص 56-57.

⁽⁵⁾ سفرنامه، ص 38.

⁽⁶⁾ سفرنامه، ص 39.

الفصل الثاني

العلوم الدينية والدراسات الأدبية

أولاً: العلوم الدينية :

اطلق المسلمون على أى بلد تقع على حدود العدو ثغرا ، كما قيل عن الثغر الذى يدافع أهله عن الاسلام اسم رباط⁽¹⁾ ، وقد جاءت كلمة رباط من قوله تعالى "وصابروا ورباطوا"⁽²⁾، وفى موضع آخر من كتابه العزيز "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم".⁽³⁾

ومن أهم ثغور الدلتا ثغر دمياط الذى يقع على ساحل البحر المتوسط⁽⁴⁾، ويمثل خط الدفاع الأول لمصر من ناحية الشمال يقول العمري⁽⁵⁾، عن دمياط " وهى موضع غرة العدو من قبل البحر وقد علقت بها حمة الكفر زمانا طويلا حتى نصر الله عليهم فى أخريات الدولة الأيوبية".⁽⁶⁾

وكان ثغر دمياط من أجل الثغور- يقول ابن شاهين " ثغر دمياط المحروس وهو ثغر جليل " ولا تقل تنيس فى الأهمية عن دمياط، فادرك الفرنجة والروم أهميتها الاقتصادية فاغاروا عليها عدة مرات، لذلك حرصت الدولة الفاطمية على ان يقيم بتنيس جيش كامل السلاح مهمته الدفاع عنها من الفرنجة والروم.⁽⁷⁾

ومن أهم الثغور ثغر الاسكندرية يحدثنا ابن شاهين⁽⁸⁾، عنه بقوله " هو أجل ثغور الاسلام واعظمه، ويشمل على سورين محكمين بها عدة أبراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر المحيط عند وقت الضرورة والثغر عدة أبواب محكمة حتى أن على كل الباب منها ثلاثة أبواب من حديد وبأعلى الأبراج مجانيق ومكاحل".

(1) ياقوت: معجم البلدان، ج-2، ص 79، والمقرئى : الخطط، ج-2، ص 427.
- محمد محمود الحويرى: أسوان فى العصور الوسطى، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ص 155.

(2) سورة آل عمران (الآية 200).

(3) سورة الأنفال (الآية 60).

(4) المقدسى: احسن التقاسيم، ص 202، وياقوت: معجم البلدان، ج-1، ص 472-473.

(5) مسالك الأبصار، ج-1، ص 93.

(6) زبدة كشف الممالك، ص 35.

(7) ناصر خسرو: سفرنامه، ص 40.

(8) زبدة كشف الممالك، ص 35.

وساهمت مدن شرق الدلتا في صناعة كسوة الكعبة التي ترسل إلى مكة سنويا مما يدل على أهميتها في الحياة الدينية ففي سنة 384هـ / 994م أرسلت كسوتين للكعبة من تنيس. (1)

وكان طريق الحج إلى بيت الله الحرام يمر عبر أراضي الدلتا فكان مسلك الحجاج من مصر إلى بلاد الحجاز ويبدأ من الفسطاط إلى عين شمس إلى المطرية ومنها إلى القلزم حيث يوجد طريقان أحدهما برى والآخر بحرى. (2)

ومن العلوم الدينية التي برز فيها أبناء الدلتا علم القراءات والتفسير والحديث والفقهاء.

1- علم القراءات:

من أهم فروع الدراسات الدينية التي يحرص عليها المسلمون لأنها ترتبط بتلاوة القرآن الكريم بقراءاته المختلفة ، يقول ابن خلدون (3) " هذه القراءات السبع أصول للقراءة " وكانت هذه القرارات سائدة في مصر. (4)

وأخذ المصريون قراءة القرآن الكريم برواية نافع نقلها إلى مصر عثمان بن سعيد المعروف بورش الذي رحل إلى المدينة المنورة في طلب العلم فأخذ عن نافع وعاد إلى مصر يعلم الناس قراءة نافع. (5)

واستمر علم القراءات في النمو والازدهار بقراءة نافع حتى مجئ الفاطميين لمصر سنة 358هـ / 968م يقول المقدسي (6) " والغالب عليهم يعنى المصريون والمختار عندهم قراءة نافع ".

ومن أشهر قراء الدلتا عبد الرحمن بن أبي بكر عتيق بن خلف العلامة الأستاذ أبو القاسم ابن الفحام الصقلي صاحب كتاب " التجريد في القراءات " وإليه انتهت رئاسة القراء بالاسكندرية علوا ومعرفة قال سليمان بن عبد العزيز الأندلسي " ما رأيت أحدا أعلم

(1) المقرئى : الخطط، ج1، ص 181.

(2) ناصر خسرو: سفرنامه ، ص 45.

لمزيد من التفاصيل عن طريق الحج أرجع إلى فصل التجارة

(3) المقدمة، ص 365.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 202.

(5) السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 224.

- محمد كامل حسين: الحياة الفكرية والأدبية في مصر، سلسلة الألف كتاب رقم (244) النهضة

المصرية، القاهرة، ص 33.

(6) احسن التقاسيم، ص 203.

بالقراءات منه لا بالمشرف وبالمغرب" قرأ على ابن بابا شاذ عالم اللغة والنحو الشهير علوم اللغة وشرح مقدمته وتوفي سنة 516هـ / 1122م. وروى عن السلفي.⁽¹⁾

وكذلك نذكر اسماعيل بن محمود بن أحمد أبا الطاهر المحلى المتوفى سنة 433هـ خطيب جامع المحلة تصدر للقراءة.⁽²⁾

ومن العلماء الذين برزوا في القراءات الحسين بن خلف بن عبد الله بن تليمة (427هـ / 1035م - 514هـ / 1120م) نزل بالاسكندرية وصنف كتاب "تلخيص العبارات بلطيف الاشارات في القراءات".⁽³⁾

ويذكر ابن الصفراوي جمال الدين أبو القاسم (544هـ / 1049م = 636هـ / 1232- 1233م) أنه تتلمذ في مدرسة الحافظ السلفي بالاسكندرية وقرأ القراءات على ابي القاسم⁽⁴⁾. ومن العلماء الذين برزوا في علم القراءات وتتلمذوا على ابن الفحام المقرئ عبد الرحمن بن خلف الله أبو القاسم الاسكندراني المتوفى تقريبا سنة 572هـ / 1176- 117م كما اتقن علم الحديث وتعلمه من أبي عبد الله الرازي وتصدر عبد الرحمن بن خلف وتعلم الناس القراءة عليه أبو القاسم الصفراوي والفضل الهمداني.⁽⁵⁾

وبرز من فقهاء المالكية جعفر بن علي بن هبة الله أبو الفضل الهمداني (546هـ / 1151- 1152 = 636هـ / 1239م) قراء القرآن على يد عبد الرحمن بن خلف كما أشرنا وأكثر عن السلفي وتصدر لقراءة القرآن⁽⁶⁾، وصنف مفردات القراءات.⁽⁷⁾

ومن أعظم القراء سالم بن ابراهيم بن خلف بن عبد الله أبو الغنايم الأموي الاسكندري (485هـ / 1092م = 564هـ / 1168- 1169م) أمام مقرئ ثقة قرأ على أبي القاسم عبد الرحم بن الفحام وأبي البهاء عبد الكريم بن عبد الله.⁽⁸⁾

(1) الجزري : طبقات القراء ، الجزء الأول، الطبعة الأولى، شرح برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1923م، ص 274.

-السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 283.

(2) الجزري: طبقات القراء، ج1، ص 10.

(3) الجزري: طبقات القراء، ج1، ص 211، والسيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 283.

- القسطلاني: لطائف الاشارات لفنون القراءات، الجزء الأول، تحقيق عبد الصبور شاهين

وآخرين مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، 1972م، ص 88.

- ابن العماد: شذرات الذهب، ج4، ص 41.

(4) السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 259.

(5) السيوطي: المصدر السابق، ص 284.

(6) الجزري: المصدر السابق، ص 193، والسيوطي: المصدر السابق، ص 259.

(7) الجزري: المصدر السابق، ص 193.

(8) الجزري: المصدر السابق، ص 300.

ونذكر على بن محمد السخاوى أصله من سخا قرأ لقرآن على أبى القاسم بن فيره الشاطبى ونزح إلى دمشق وتصدر بجامعها للقراءة ومن مصنفاته شرح قصيدة شيخه فى القراءات شرحا كافيا، كما شرح "المفصل" للزمخشري.⁽¹⁾

ويعد السخاوى أول من شرح قصيدة شيخه الشاطبى المشهورة فى القراءات واشتهرت بسببه ، وكان أهل مصر كثيرا ما يحفظون " العنوان " لأبى طاهر بن خلف الأندلسى فلما ظهرت القصيدة تركوه.⁽²⁾

ومن أبرز القراء الذين نزحوا إلى مدينة الاسكندرية مقاتل بن عبد العزيز بن يعقوب (500هـ / 1106 - 1107م = 579هـ / 1183م) وهو شيخ مقرى مشهور تتلمذ فى علم القراءات على ابن الفحام⁽³⁾ ومحمد بن عمر بن مالك بن جعونة ابو عبد الله المعافى تتلمذ فى مدرسة الطاهر بن عوف فأصبح مقرئا عارفا.⁽⁴⁾

2- علم الحديث:

وهو من أهم مصادر التشريع الاسلامى، ونشطت رواية الحديث فى مصر وكثرت الرحلة فى طلبه ومن أشهر المحدثين أبو بكر محمد بن على بن حسن المصرى (282هـ / 895م = 369هـ / 979م) نزل تنيس وسمع من النسائى وأبى على وروى عنه الدارقطنى وغيره.⁽⁵⁾

واشتهرت مدينة تنيس بعدد وافر من العلماء والمحدثين ومن اشهرهم عمرو بن ابى سلمة ابو حفص التنيسى وأبو حامد احمد بن الحسن التنيسى ت 549هـ / 1057م الذى رحل إلى خراسان ليتلقى علم الحديث ، يقول السمعانى⁽⁶⁾ عنه وأدرك بعض مشايخنا لقيته بهراة⁽⁷⁾ ، وسمع منه وسمعت منه حديثين أو ثلاثة".

ومن أعظم علماء الحديث أبو عبد الله الرازى صاحب السداسيات محمد بن أحمد بن ابراهيم المشهور بابن الخطاب ت 525هـ / 1033 - 1034م أحد عدول الاسكندرية ومسند الديار المصرية.⁽⁸⁾

(1) (القفطى: ابناه الرواة، ج2، ص 311-312.

(2) (القسطلانى: لطائف الاشارات، ج1، ص 89.

(3) (الجزرى: المصدر السابق، ج2، ص 308.

(4) (الجزرى: المصدر السابق، ج2، ص 218.

(5) (السيوطى: حسن المحاضرة، ج1، ص 199، وابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص 70.

(6) (الانساب: ج3، ص 98-99.

(7) (هراة مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص 396.

(8) (السيوطى: حسن المحاضرة، ج1، ص 212، وابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص 75.

وأشتهر بعلم الحديث الحافظ أبو طاهر عماد الدين الاصفهاني ت 576هـ/1180م وكان أماما حافظا متقنا انتهى إليه علو الإسناد بالاسكندرية وكان من أبرز علماء الحديث واعلمهم بقوانين الرواية. (1)

ومن تلامذه عبد الله الرازي العالم المحدث أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن حمزة أبن موقا الانصارى ت 579هـ/1183م مسند الاسكندرية في الحديث. (2)

ومن أعظم المحدثين عيسى بن عبد العزيز بن عبد الواحد اللخمي الشريشى الاصل الاسكندراني 550هـ/1150م = 629هـ/1232م وروايته في الحديث صحيحة ومن تصانيفه كتاب "الأمنية في علم العربية" و "الجامع الأكبر والبحر الأزهر" في القراءات يشمل على سبعة آلاف رواية و "التين" و "باين مشنبة القرآن" و "الأخبار بصحيح الأخبار" و "الأزهار في المختار من الأشعار" و "حجة المقتدى في القراءات" و "نهاية الاختصار في مذاهب أئمة الأمصار" و "المثال في الجواب والسؤال والسوائل في الرسائل". (3)

ومن تلامذة السلفي في علم الحديث أبو الحسن علي بن المفضل المالكي المقدسي الاسكندري (544هـ/1149 - 1150م = 611هـ/1214 - 1215م) كان من الأئمة العارفين ومن حفاظ الحديث المشهورين واشتغل بتصانيف الأحاديث. (4)

وكذلك برز في علم الحديث السديد بن سماقة أبو اسحاق بن ابراهيم بن عمر الاسعودي قاضى دمياط ، فاشتغل بتدريس الحديث في مصر والاسكندرية ت 612هـ/1215م. (5)

ومن جملة الفقهاء أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن الفتح العريشى سكن بئر رشيد، وتتلامذ على أبي بكر الطرطوشى ، وغيره من علماء الاسكندرية. (6)

وكذلك على الحسن بن علي بن الحسن الحضرمي القيرواني المتوفى سنة 518هـ/1124م نزيل الاسكندرية وكان يحضر عند السلفي لسماع الحديث. (7)

(1) السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 200.

(2) السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 213.

(3) الزركلى: الاعلام، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، القاهرة 1955م، ص 289.

(4) السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 200.

(5) السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 230.

(6) السلفي: معجم السلفي المعروف بمعجم السفر، الجزء الثانى (مخطوط، مصور بدار الكتب المصرية تاريخ رقم 3932 ميكروفيلم 5865 ورقة 31.

(7) السلفي: معجم السلفي المعروف بمعجم السفر، ج2، (مخطوط) ورقة 7.

3- علم التفسير: (1)

من العلوم الدينية التي برع فيها أبناء الدلتا بقسط وافر فمنهم اعظم المفسرين أبو الحسن على ابن ابراهيم بن سعيد الحوفى المتوفى سنة 430هـ/ 1038م أصله من قرية شبرا ببلبيس ، تتلمذ على الأدفوى ، ومن أعظم تصانيفه فى مجال علم التفسير " البرهان فى تفسير القرآن" (2) ، حيث يقع فى ثلاثين مجلدا. (3)

ومن أبرز علماء التفسير الذين نزحوا إلى مدينة الاسكندرية محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الامام أبو بكر العرى المعافى الاندلسى ولد فى سنة 468هـ/ 1075 ورحل إلى بلاد الشام حيث نفقه على أبى بكر الطرطوشى وطائفة من العلماء والمحدثين وتوجه إلى بغداد فسمع من علمائه وعزم على الرحيل إلى الاسكندرية حيث درس واستفاد من علمائها ومن مصنفاته "التفسير وأحكام القرآن" وشرح " الموطأ " وشرح الترمذى. (4)

ومن علماء بلاد المغرب الذين نزحوا إلى الاسكندرية محمد بن عمر بن يوسف الأمام أبو عبد الله المالكى درس بالاسكندرية على ابن موقا. (5)

4- الفقه:

ازدهرت الحركة العلمية فى مصر على أثر تعدد المذاهب الفقهية واشتد النزاع بين المدارس الفقهية فى العصر الأخشىدى حيث انقسم المصريون بين فقه المالكية والشافعية، مما أدى إلى وقوع مناقشات بينهم فى بعض الأحيان. (6)

واتخذ الفقهاء موقفا معاديا عندما علموا بوصول الفاطميين بجيوشهم إلى الاسكندرية ويحدثنا المقدسى (7)، أن الامام الطحاوى أخذ يحث المصريين على التصدى للفاطميين ومنعهم من دخول مصر حيث وقف حينذاك يخطب فى المصريين قائلا لهم "

(1) القرآن الكريم نزل بلغة العرب وأساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يضمونه ويتعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملا جملا وآيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع. انظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 366.

(2) ياقوت: معجم الأدباء، ج12، ص 221، وابن خلكان: وفيات اعيان ج3، ص 301. -السيوطى: بغية الوعاة، ص 325، وحاجى خليفة: كشف الظنون، ج1، ص 46.

(3) ياقوت: معجم الأدباء، ج 12، ص 221.

(4) السيوطى: طبقات المفسرين، راجع النسخة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 90-91.

(5) السيوطى: طبقات المفسرين، ص 101.

(6) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ج1، ص 173.

(7) احسن التقاسيم، ص 234.

أيها الناس اخرجوا إلى هؤلاء القوم فانهم خوارج وجهادكم عليكم واجب لأنهم يغيرون السنة ويفرقون الدعوة ويضلوا الأمة فخرج الناس إليهم صفا واحدا فهزموهم".

أ- فقهاء المالكية:

ومن أبرز فقهاء المالكية بالدلتا أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن علي الميورقي المتوفى سنة 523هـ/ 1128م الذي اتخذ الاسكندرية موطنًا له وصنف تعليقاته في الخلاف بين الفقهاء ، وهو أحد الذين روى عنهم الحافظ السلفي.⁽¹⁾

ومن أشهر الفقهاء تقي الدين مظفر بن عبد الله بن علي المصري ولقب بالمقترح لأنه كان بحفظه ، وهو كتاب في الجدل وله مصنفات في الفقه والأصول والخلاف تتلمذ عليه كثيرون من الطلاب بالقاهرة والاسكندرية وكان مولده سنة 526هـ/ 1131م.⁽²⁾

كما وفد على الاسكندرية أبو بكر الطرطوشي محمد بن الوليد الأندلسي ونزل بالاسكندرية بعد أن طاف العالم الإسلامي، يقول ابن فرحون⁽³⁾ عنه "أماما عالما عاملا زهدا" واتصل بالوزير المأمون البطائحي ، وصنف له الطرطوشي "كتاب سراج الملوك" وكان الطرطوشي يشرح في علقته المدونة الكبرى سنة 525هـ/ 1130م⁽⁴⁾

ونذكر من تلامذة الطرطوشي سند بن عنان بن ابراهيم الأزدي المتوفى سنة 540هـ/ 1145م حيث ناب عن أستاذه في دروسه في الحلقة بعده، وكان سند بن عنان من العلماء الزاهدين، ومن مصنفاته كتاب في الفقه سماه الطراز شرح به المدونة الكبرى في نحو ثلاثين سفرا.⁽⁵⁾

وكذلك نذكر من تلامذة الطاهر بن عوف العالم الفقيه أبو الحسن اليبباري علي بن اسماعيل (557هـ/ 1161م = 618هـ/ 1221م) أحد أئمة الاسلام المشهورين في الفقه والأصول والكلام⁽⁶⁾ ، ومن مصنفاته "شرح البرهان لأبي المعالي الحويني" وكتاب "سفينة النجاة على طريق الأحياء".⁽⁷⁾

(1) (اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج3، ص 230. والسيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 228. محمد علي عتاق: الحياة العلمية بمصر في عهد الفاطميين الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر 1983م، ص 99.

(2) (السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 230.

(3) (الدبيج المذهب، ص 276.

(4) (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص 62 والسيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 257.

- محمد كامل حسين: الحياة الفكرية والأدبية في مصر، ص 42.

(5) (ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 126، والسيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 257.

(6) (ياقوت: معجم البلدان ج1، ص 85، والذهبي: المشتبه، ج1، ص 9.

- السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص 258-259.

(7) (ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 213.

الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي

وبرز في علم الفقه ابن شاش العلامة جلال الدين أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن شاس الجذامي أفنى حياته مجاهدا في سبيل الله وتوفي بدمياط سنة 616هـ / 1219م أثناء حصار الفرنج لها ومن مؤلفاته " الجواهر الثمينة في المذهب".⁽¹⁾ ونذكر كذلك الحسن بن عتيق بن رشيق جمال الدين أبو علي الربعي (547هـ / 1152م = 632هـ / 1235م) يقول ابن فرحون⁽²⁾ عنه "كان من العلماء الورعين وشيخ المالكية في وقته وعليه مدار الفتيا بالديار المصرية".

ب- فقهاء الشافعية:

ومن أشهر فقهاء الشافعية بالإقليم أبو الحجاج يوسف بن عبد الهزيز بن علي اللخمي الميورقي المتوفى سنة 230هـ / 1128م كان عالما بارعا متمكنا في علم الفقه تتلمذ على الكياء الهرائسي ببغداد واستوطن بالاسكندرية وروى عنه السلفي وصنف تعليقاته في الخلاف. (3) ونذكر أبا القاسم هبة الله بن معد بن عبد الكريم القرشي الدميطي المعروف بابن البوري أصله من بلدة بورة قرب دمياط توفي سنة 599هـ / 1202م. (4)

ج- فقهاء الحنفية:

برز من فقهاء الحنفية عبد المعطى بن مسافر بن يوسف بن الحجاج أبو محمد الرشيدى من أصحاب الفقيه أبى بكر محمد بن ابراهيم الرازى نزى الاسكندرية. (5)

ثانيا: الدراسات الأدبية:

ازدهرت الدراسات الأدبية في الدلتا في العصر الفاطمي، ونشط الشعر وحاز مكانة أعظم من النثر، وبرز في الإقليم شعراء موهوبون أضافوا الكثير إلى المكتبة الأدبية في مصر آنذاك في كافة فنون الشعر، وتفوقت مدينة الاسكندرية في هذا المجال بالمقارنة بمدن الدلتا الأخرى، وسوف نلتزم بالترتيب الزمني في دراستنا عن الشعراء.

1- ابن وكيع التنيسى:

ولد أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صادفة بن زياد الضبى المعروف بابن وكيع التنيسى بمدينة تنيس⁽⁶⁾، وأصله من بغداد⁽⁷⁾، ولقب وكيع يطلق على جده أبى بكر محمد بن خلف الذى شغل منصب نائب فى الحكم بالأهواز لعبدان الجوالقى وامتدح

(1) السيوطى: حسن المحاضرة، ج1، ص 258.

(2) الديباج المذهب، ص 105.

(3) السيوطى: المصدر السابق، ص 228.

(4) نفسه، ص 229.

(5) نفسه، ص 264.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص 104، وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج3، ص 248.

(7) ابن خلكان: المصدر السابق، ص 104.

ابن خلكان⁽¹⁾، وكيع بقوله " كان فاضلا نبيلًا فصيحًا من أهل القرآن والفقه والنحو والسير" ومن مصنفاته العلمية كتاب "الطريق" وكتاب " الشريف" و "عدداى القرآن" والاختلاف فيه "والرومى والنضال" "والموازين والمكايل" وله شعر جيد توفى سنة 306هـ/ 918م.⁽²⁾ أما شاعرنا ابن وكيع فامتدحه الثعالبي⁽³⁾ بقوله "شاعر بارع وعالم جامع قد برع فى إبانة على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد فى أوانه وله كل بديعة تسحر الأوهام وتستعبد الأفهام".

وأمتاز ابن وكيع بشعره الجيد⁽⁴⁾، فوصفه الدكتور حسين نصار⁽⁵⁾ " جامع شعره بقوله " شاعر الزهر والخمر" ويعد ابن وكيع من شعراء الرقة والسهولة، ولعل دوافع الرقة فى شعره ترجع إلى طبيعة البيئة التى عاش فيها فى بقعة زراعية يقول المسعودى⁽⁶⁾ عنها " تنيس كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع ، وكانت فيها مجار على ارتفاع من الأرض ولم يجد الناس بلدا أحسن من هذه الأرض".

وتذكر الدكتورة نعمات احمد فؤاد⁽⁷⁾ ان ابن وكيع لم ير فى دنيا الطبيعة إلا زهر الربيع حيث غلب على شعره.

ومن مصنفات ابن وكيع الأدبية ديوان شعر جيد، وكتاب يبين فيه سرقات أبى الطيب المقتنبي سماه " المنصف"⁽⁸⁾ وكانت وفاته بتنيس سنة 393هـ/ 1003م.⁽⁹⁾

(1) وفيات الأعيان ، ج2، ص 107.

(2) ابن خلكان : المصدر السابق، ص 107.

- محمد عبد الغنى حسن: مصر الشاعرة فى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، ص 136- 137.

(3) يئمة الدهر: الجزء الأول، الطبعة الثانية، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، 1973م، ص 356.

(4) حاجى خليفة : كشف الظنون، ج1، ص 769.

(5) ابن وكيع التنيسى: ديوان ابن وكيع، تحقيق وجمع حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ص 14.

(6) مروج الذهب، ج1، ص 348.

(7) النيل فى الأدب المصرى، دار المعارف، القاهرة 1962م، ص 161.

(8) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج2، ص 104.

- صلاح الدين حسن على: مدارس الشعر فى مصر فى العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر 197م، ص 191.

(9) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج2، ص 106.

- بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، الجزء الثانى، الطبعة الثالثة، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ص 103.

ومن شعره:

- رسالة من كلف عميد
بلغة الشوق مدى الجهود
ومن قوله في فصل الخريف:
حتى إذا زال الخريف
أهوية تسرع في كل الجسد
ومن قوله في فصل الشتاء:
حتى إذا ما أقبل الشتاء
أقبل منه أسد مزيّر
- وقوله في فصل الربيع:
جاء إلينا زمن الربيع
- حياته في قبضة السدود
ما فوق ما يلقاه من مزيد⁽¹⁾
فصل بكل سوء معروف
وهو كطبع الموت يبا وبرد⁽²⁾
جاءتك منه غمة غمء
له وعيد وله تحذير⁽³⁾
فجاء فصل حسن الجميع⁽⁴⁾

وقال ابن وكيع التنيسي في المنصف:

- غير يدرج أمواجه
إذا الشمس من فوقه أشرق
- هيوب الشمال ومر الصبا
توهمته جوشنا مذهباً⁽⁵⁾

قال الثعالبي في يثمة اليتمة ، أنشدني الشيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن ايده الله تعالى قال انشدني أبو الحسن محمد بن الحسن العثماني، قال انشدني القاضي البغدادي لابن وكيع التنيسي ، وهو أحسن ما قيل في مدح السفر:

- (¹) الثعالبي : يثمة الدهر، الجزء الأول، ص 356-357.
(²) يخشى على الأجسام من آفاته
لا يمكن الناس اتقاء شره
من اختلاف برده وحره
- الثعالبي: يثمة الدهر، ج1، ص 364-365.
(³) يأتيك في ابانه رياح
حراكها ليس الى سكون
- الثعالبي: يثمة الدهر: ج1، ص 365.
(⁴) لبردة وحره مقدار
نهاره من أحسن النهار
تضحك فيه الشمس من غير مجب
- الثعالبي: يثمة الدهر، ج1، ص 366.

(⁵) ابن الصلت: الرسالة المصرية، المجموعة الأولى، الطبعة الأولى، تحقيق عبد السلام هارون نواذر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1951م، ص 53-54.

تغرب على اسم الله والتمس الغنى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد (1)

ومن شعر ابن وكيع في الرجاء والعتاب:

أرجى دنو الوصل من بعد يعده كما قد ترجى فبالجدوب السحائب (2)

2- ابن القليوبى الكاتب:

على بن محمد بن أحمد بن حبيب القليوبى أصله من قليوب، كان يكتب فى ديوان الدولة الفاطمية عاصر العزيز بالله (365هـ - 386هـ = 975 - 996م) وشهد أيا الحاكم وفترة قصيرة من عصر الظافر. (3)

وكان ابن القليوبى كاتباً مترسلاً يجيد التشبيهات وينتزع صورة الشعرية من الطبيعة من النجوم تقليداً لعبد الله بن المعتز ومن أغراض شعره الخمر والغزل والمجون. ومن شعره يصف الخمر ثم يستطرد فى وصف النجوم:

وصافية بات الظلام يديرها على الشرب فى جنح من الليل ادعج
كان جباب الماء فى وجناتها فرائد در فى عقيق مدرج (4)

3- ابن قادوس:

هو أبو الفتح محمود بن اسماعيل الفهرى المعروف بابن قادوس كان بارعاً فى النثر والنظم متين الشعر يقول العماد الأصفهاني (5) " له أشعار محكمة النسيج كالدر فى الدرج" وكان يعرف بذى البلاغتين الشعر والنثر، وله ديوان شعر يقع فى مجلدين (6)، ومما يدل على كفاءته الأدبية أنه شغل وظيفة كاتب الإنشاء بمصر فى العصر الفاطمى وتوفى سنة 551هـ/ 1156م. (7)

(1) تفرج نفس والتماس معيشة وعلم وآداب ورفقة ماجد

فان قيل فى الأسفار ذل وغربة وتشتيت شمل وارتكاب شذائد

فللموت خير للغنى من مقامه بدار هوان بين ضد وحاسد

انظر ديوان ابن وكيع، ص 43.

- الثعالبي: تنمة يثمة الدهر فى محاسن أهل العصر، الطبعة الأولى، شرح وتحقيق مفيد محمد قيمحة،

دار الكتب العلمية، بيروت 1983م، ص 40.

(2) وأكثر فى الهجر العتاب كأننى لدهرى من ظلم الكرام أعاتب

وأهوى مواعيد المنى عنك بالرضا وقد تمتع بالأمال وهى كواذب

انظر ديوان ابن وكيع، ص 38.

(3) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى، الجزء الثالث، دار العلم للملايى، بيروت، ص 68.

(4) الزركلى: الاعلام، ج5، ص 145.

- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى، ج3، ص 68.

(5) فريدة القصر، ج1، ص 226.

(6) الزركلى: الاعلام، ج8، ص 41.

(7) العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 226، والسيوطى: حسن المحاضرة، ج1، ص 324. =

ومن شعره في رجل وكان أسود البشرة:

يا شبه لقمان بلا حكمة
سلخت أشعار الورى كلهم
ومن شعره في طبيب:

عليه منه على
تؤخذ منه دية

وله قصيدة في وصف الخمر:

قم قبل تأدين النواقيس
ومن شعره في الهجو:

إذا قال لا يعدو كلام ابن فاعل
ومن شعره في جارية سوداء:

وعاذل محتفل

وله في المطرب:

وكلما دام نطقا في معاتبتى

4- على بن عياد الاسكندري:

على بن عياد الاسكندري ويعرف بابن القيم شاعر من أهل الاسكندرية كان أبوه قيم جامعها اشتهر في عصر "الأمر" الفاطمي ثم كان شاعر الوزير أحمد بن الأفضل الجمالي في أيام الحافظ ولما قتل الحافظ وزير الجمالي أمر باحضار ابن القيم ، واستنشد قصيدة له

= - شوقي ضيف : عصر الدول والامارات، ص 338.

(1) العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 226.

(2) العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 226.

(3) عروس دن لم يدع عتقها
الا شعاعا غير ملموس

تجلى علينا باسمها ثغرها
فلا تقابلها بتعبيي

انظر العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 227.

(4) وليس كلاما ما يقول وانما
يجيب الصدا من رأسع من فراغه

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 232.

(5) يلومنى في ظبيبة
ملخوقة من كحل

ان السواد علة
من نور هدى المقل

والحجر الأسود لم
يخلق لغير القبل

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 232.

(6) وبات بدر الحسن معتنقى
والشمس في فلك الكاسات لم تفل

الدوادارى: كنز الدرر وجامع الغرر، ج6، ص 596.

فى ذم الخلفاء المصريين، وتصحيح معتقداتهم وأشار إلى غلمانه فانهالوا عليه بالضرب حتى مات. (1)

ومطلع القصيدة التى كانت سبب مقتله:

تبسم الدهر لى بعد تعيبس وقوض اليأس لكن بعد تعريس
وابتهج القاضى ابن ميسر من هذا البيت، فكان ذلك سببا لصرف ابن ميسر عن
القضاء وقتله. (2)

وفى ذات مرة حضر ابن عياد فى احد البساتين ومعه غلام جميل الوجه فتساقط
عليه من ثمرها فقال:

ودوحة كالسماء نادمنى من تحتها بدرها على حذر (3)

5- طافر الحداد:

هو أبو منصور بن عبد الله بن خلف الجذامى الاسكندرى المعروف بالحداد اشتغل
بالأدب ونظم الشعر وروى له الكثير من العلماء ومنهم العالم الجليل الحافظ السلفى، وتوفى
طافر الحداد بمصر فى المحرم سنة 529هـ/ 1134-1135م. (4)
ومن شعره:

حكم العيون على القلوب يجوز ودواؤها من دائهن عزيز (5)
ومن شعره الذى أرسله إلى أبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى بعد أن ترك
مصر إلى المهدية يتشوق إليه:

(1) الزركلى : الاعلام، ج5، ص 133.
(2) هذا سليمانكم قد رد خاتمه واسترجع الملك من صخر بن ابليس
ابن ميسر: أخبار مصر، ج2، ص 127-128.
(3) فأنشأت بالنجوم ترجمة وذلك من غيرة على القمر
العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 43-44.
(4) ياقوت: ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، مطبعة هندية، القاهرة، 1927م، ص 278.

- ياقوت: معجم الأدباء، ج2، ص 27، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص 540.
- السيوطى: حسن المحاضرة، ج1، ص 324.
- بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج5، ص 63.
- صلاح الدين حسن على: مدارس الشعر فى مصر فى العصر الفاطمى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، القاهرة، جامعة الأزهر 1977م، ص 344-345.
(5) كم نظرة نالت بطرف ذابل ما لا ينال الزابل المهزوز
فحذار من تلك اللواظ غيرة فالسحر بين جفونها مكنوز

انظر ياقوت: ارشاد الأديب، ج4، ص 278.
ياقوت: معجم الأدباء، ج3، ص 28-29.

ألا هل لدائي من فراقك افراق هو السم لكن في لفائك درياق⁽¹⁾
فياشمس فضل غربت ولضوئها على كل قطر بالمشارك اشراق⁽²⁾
ويذكر عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسين الأمدى النائب كان فى الحكم
بشعر الاسكندرية بأنه دخل على الأمير السعيد بن ظافر أيام ولايته الثغر فوجده يقظر دهنًا
على خنصره فسألته عن سبه فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه فقلت له الرأى قطع
حلقة وانشد بديها:

قصر عن أوصافك العالم وأكثر الناثر والناظم
من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم
فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة وكانت من ذهب وكان بين يدي الأمير غزال
مستأنس وقد ربض وجعل رأسه فى حجرة فقال ظافر بديها:
عجبت لجرأة هذا الغزال وأمر تخطى له وأعتمد⁽³⁾
فأمر له بعتاء آخر.

ومن شعر ظافر يصف الهرمين بمصر قوله:
تأمل هيئة الهرمين وانظر وبينهما أبو الهول العجيب⁽⁴⁾
وذات مرة خرج إلى قلوب صحبة الشيخ غذى المالك أبى البركات محمد بن محمد
بن صالح بن عثمان فى جماعة متنزهين فنظر الجماعة إلى الجنار⁽⁵⁾، فى أشجار فسأله من
حضر أن يشبه هذا فقال بديها:

(1) (الدرىاق : الدواء الناجع كالترىاق.

ديوان ظافر، تحقيق د/ حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة 1969م، ص 26، هامش (10)

(2) سقى العهد عهدا منك عمر عهده بقلبي، عهد لا يشيع وميثاق

يجدده ذكر بطيب كما شدت وريقاء كنتها من الأيك أوراق

- ديوان ظافر الحداد، ص 226-227، ياقوت: ارشاد الأريب، ج4، ص 278.

- ياقوت : معجم الأدباء، ج12، ص 29-30.

- ابن أبى اصبيعة : عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ص 504.

(3) وأعجب به إذ بدا جاتما فكيف اطمأن وأنت الأسد

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 15، وابن خلكان : وفیات الأعيان، ج4، ص 91.

شوقى ضيف: عصر الدول والامارات، ص 252.

(4) كعمار يتين على رحيل لمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل تحتها دموع وصوت الريح عندهما نحيب

- ديوان ظافر الحداد، ص 4.

- العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 7.

(5) (الجنار زهر رمان برى قد يكون احمر وقد يكون ابيض وقد يكون موردا.

ديوان ظافر الحداد، ص 12 هامش (7).

لله أيامى بقليلوب والعيش مخضر الجلابيب⁽¹⁾
 ويجمع المؤرخون على أن شعر ظافر الحداد جمع فى ديوان كبير ولكن هذا الديوان
 فقد ولم يبق من شعره إلا أبيات من قصائد من قوله:
 لو كان بالصبر الجميل ملاذه ماسح وابل دمعته ورذاذه⁽²⁾
 وطمع ظافر إلى لقاء الأفضل بن بدر الجمالى وزير الفاطميين وكان قد حجر على
 الخليفة الأمر وأصبح له الملك والسلطان كله فاتخذ الأسباب إلى لقائه ولم يكذ يستمع منه إلى
 مديحه حتى أكبره وقدمه على أقرانه وسكن ظافر بجواره فى الفسطاط، وأخذ يدبج فى مدائح
 طنانة وهو يغدق عليه من نواله مع راتب قدره له وإلى ذلك يشير قائلا:
 وهذا الجنب الأفضلى يكننى ذرى ظله إلى اذن لسعيد
 وقد ر لهذه السعادة ان ينحسر ظلها عن ظافر إذ دبر الخليفة الأمر للأفضل من قتله
 سنة 515هـ/ 1121م وولى الوزارة بعد الأفضل المأمون البطائحي ولظافر فيه قصيدتان يشكو
 فيهما من عوزة وضيق حاله ومع ذلك يشكره على الأموال التى منحها له.⁽³⁾
 ولظاهر الحداد فى الزهد والحكمة:
 أوصيك بالبعد عن الناس فالعز فى الوحدة والياس⁽⁴⁾
 ومن شعر ظافر الحداد إلى الحافظ السلفى:
 وليلة جاد بها العمر ونام عن خلسنها الدهر
 والورد فوق الماء ما بيننا قد نثرت أوراقه الحر⁽⁵⁾

- (¹) والطير فى الأغصان فتانة ما بين تلحين وتطريب
 والشمس فى المغرب مصفرة كعاشق من بعد محبوب
 وما زال جيش الحب يغزو قلبه حتى وهى وتقطعت افلاذه
 لم يبق فيه مع الغرام بقية الا رسيس يحتويه جذاه
 من كان يرغب فى السلامة فليكن ايدا من الحدق المراض عياده
 - ياقوت : معجم الأدباء، ج 12، ص 31-32.
 - ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج4، ص 91.
 - محمد كامل حسين: فى أدب مصر الفاطمية، ص 226.
 - محمود مصطفى: الأدب العربى فى مصر من الفتح الاسلامى إلى نهاية العصر الايوبى.
 المؤسسة المصرية العامة، القاهرة 1967م، ص 230.
 (³) شوقى ضيف: عصر الدول والامارات، ص 252-253
 (⁴) ووحده الصمصام فى عضده حصته بالعزة فى لباس
 وقوله:
 هى الدنيا فلا يحزنك منها ولا من أهلها سفه وعاب
 اتطلب جيفة لتتال منها وتتكبر ان تهارشك الكلاب
 العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 7-8.
 (⁵) السلفى: معجم السلفى المعروف بمعجم السفر، الجزء الثانى (مخطوط مصور) ورقة 87.

6-رضى الدولة أبو سليمان

داود بن مقدم بن ظفر المحلى

من مدينة المحلة الكبرى على الهمة وسريع البديهة فى نظم الشعر وتفق على معاصريه ويقول العماد الأصفهاني عنه " شاعر ملء فكيه توفى فى عصرنا". ومن شعره :

لئن لذى طول المقام ببلدة لذى ملك يثنى عليه المهاجر⁽¹⁾
ومن شعره فى الهجو:

من كان ذا نحلة يعجلها فالشعر حظى من سائر النحل⁽²⁾
ومن شعره إلى ابن كازوك ولى المشارفة بالغربية الذى عزله عن عمله:
أيها المخلص المكين ومن كفاه فى كل ازمة يكفان⁽³⁾

7-ابن مكنسة الاسكندراني :

عاش القائد أبو الطاهر اسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة⁽⁴⁾، فى زمن ولاية أمير الجيوش بدر الجمالى منقطعا إلى عامل من النصارى يعرف بأبى مليح، ونظم فيه أغلب مدائحه وعند وفاته رثاه بعدة قصائد جيدة منها:

طويت سماء المكرما ت وكورت شمس المديح⁽⁵⁾
وكانت هذه القصيدة سببا فى نقمة الأفضل بن بدر الجمالى على شاعرنا الذى حاول أن يتقرب من الأفضل فامتدحه بقصيدة منها:⁽⁶⁾
مثلى بمصر وأن ملك يقال ذا شاعر فقير⁽⁷⁾

(1) ففى الناس من يقضى من الحج فريضة وأخر من طيب المقام يجاوز

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 45-46.

(2) أن لم ينلنى حظا بحرفته فكم شفى غلتى من السفلى

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 48.

(3) بان عفا أهل المحبة واعتضنا بأهل البغضان والشنان

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 49.

(4) العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 203.

- الصفدى: الوافى بالوافيات، ج9، ط2، باعتناء يوسف خان اس، ص 213.

(5) ماذا ارجى فى حيا تى بعد موت أبى مليح

ما كان بالنكس الدنسى من الرجال ولا الشحيح

كفر النصارى بعدما عقدوا به دين المسيح

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 205.

(6) العماد الاصفهاني: المصدر السابق والصفحة.

(7) عطاوك الشمس ليس تخفى وانما حظى الضيرير

ومن شعر ابن مكنسة في الحديقة:

اعاذل ماهبت رياح ملامة بنار هوى إلا وزادت تصدما (1)
وكتب إلى أبي الصلت حين عاد إلى المهديّة:
وما طائر قص الزمان جناحه وأعدمه وكرا وأفقدته الفا (2)
ومن شعره في المدح:

ولم ير كالمذائح فيه تسرى خفافا تحمل المنن أثقالا (3)
8- رجل سنبسى من البحيرة:

وبرع في الشعر رجل من قبيلة سنبس التي استقرت بالبحيرة ومن شعره:
أقول لحرائي براق تحيا عن الدار لا يخفى على رسوما
أيا دار من لو تشتري منه نظرة شرينا وغالينا على من يسومها (4)
9- الشريف أبو الحسن الحسنى الاسكندراني:

يقول العماد الأصفهاني " انشدني الفقيه أبو بكر بن أبي القاسم بن خلف التميمي
الاسكندراني بمكة حرسها الله تعالى، حذاء الكعبة المعظمة في أواخر ذي القعدة سنة ثمان
وأربعين وخمسائة للشريف إلى الحسن الحسنى الاسكندراني".
فانى شبه ظمآن ببيد رأى الأنعام ظن بها شرابا
فبدد مائه وأتى إليها فلما جاءها وجد السرابا (5)

10- تقيّة الصورية:

هي الأديبة أم علي تقيّة بن أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد بن
جعفر السلمى الامنازى الصورى ولدت بمدينة صور في صفر سنة 505هـ/ 1111م (6)،

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 203.

(1) فكلنى إلى عين اذا جف ماؤها رات من حقوق الحب ان يذرف الدما

الصفدى : الوافى بالوافيات، ج9، ص 214.

(2) تذكر فرخا بين أفنان بانه خوافى الخوافى ما يطرن به ضعفا

اذا التحف الظلماء ناجى همومه بترجيع نوح كاد من دقة يخفى

بأنفق منى مذ أطاعت بك النوى هوائية مائية تسبق الطرفا

تولت وفيها منك ما لو أقية بما هي فيه كان في فضله اوفى

العماد الاصفهاني، فريدة القصر، ج2، ص 215.

(3) وتنشده مدائحه اقتضابا فيعصينا منائحه ارتجالا

العماد الاصفهاني، فريدة القصر، ج2، ص 213.

(4) العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 133.

(5) نفسه، ص 202.

(6) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج1، ص 297.

وهي من أهل الاسكندرية⁽¹⁾، يقول ابن خلكان⁽²⁾ عنها " كانت فاضلة ولها شعر جيد وقصائد ومقاطيع صحبت الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني". ومن شعر تقيّة قولها:

خان أخلائى وما خنتهم وأبرزوا للشر وجهها صفيق⁽³⁾
وكتب إليها بعض الأفاصل، وقد مدحت نفسها:

وما شرف أن يمدح المرء نفسه ولكن أفعالا تدم وتمدح⁽⁴⁾

11- ابن قلاقس:

ولد أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الأزهرى الاسكندرى الملقب بالقاضى الأعز⁽⁵⁾، بالاسكندرية سنة 532هـ/ 1137م وتتلّمذ على الحافظ السلفي وأفاد من علمه حتى امتدحه وأثنى عليه وكان ابن قلاقس شاعرا مجيدا وفاضلا نبيلًا⁽⁶⁾، وبسبب الاضطرابات التى سادت مصر فى أواخر العصر الفاطمى رحل إلى بلاد اليمن ومنها إلى صقلية⁽⁷⁾، ومكث بها فترة وامتدح قائدها أبا القاسم بن الحجر

(1) الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 121.

(2) وفيات الأعيان، ج1، ص 297.

(3) وكذر الود القديم الذى قد كان قدما صافيا كالرحيق وباعدونى بعد قربى لهم وحملوا قلبى ما لا اطيع

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 222.

(4) وما كل حين يصدق المرء قلبه ولا كل أصحاب التجارة تربح ولا كل من ترجو لغيبك حافظ ولا كل من ضم الوديعة يصلح

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج2، ص 223.

(5) العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 145، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص 285.

- السيوطى: حسن المحاضرة، ج1، ص 325.

- الزركلى: الاعلام، ج2، الطبعة الثانية، القاهرة 1956م، ص 344.

- محمد زغلول سلام: الأدب فى العصر الأيوبي، ص 326.

- عبد العليم القباني: شعراء الاسكندرية فى العصور الاسلامية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص 95.

- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى، ج3، ص 342.

- عبد الهادى عبد الله اسماعيل: ابن قلاقس حياته وشعره، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، 1979م، ص 67.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج5، ص 385.

- عبد العزيز ناصر المانع: ابن قلاقس ورسائله، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الخامس، 1978م، ص 270.

(7) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، الجزء الخامس، ص 64.

الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي

وصنف له كتابا سماه " الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم" ⁽¹⁾، والشاعر كمان كثير السفر والارتحال لأنه كان يرحل إلى الممدوحين بقصد الكسب فامتدح بعدن أبا الفرج ياسر بن أبي الندى فأجزل له العطاء وأكرم وفادته، وعندما رحل بالمركب غرق بمن فيه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك ونجا من الموت فعاد إلى صاحبه أبي الندى في حالة يرثى لها وامتدحه بقصيدة يصف فيها ما حدث له .

صدورنا وقد نادى السماع بنا ردوا فعدنا إلى مغناك والعود أحمد ⁽²⁾
وهذه القصيدة من القصائد المختارة له ولم يكن فيها سوى هذا لكفاه ثم انشده قصيدة أخرى يصف فيها غرقه وأولها:

سافر إذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا ⁽³⁾
وعند عودته إلى مصر بطريق البحر توفي في مدينة عيذاب سنة 567هـ 1171م ⁽⁴⁾، وعندما فارق صقلية راجعا إلى مصر وكان ذلك وقت الشتاء ردت الرياح إلى صقلية فكتب إلى أبي القاسم المذكور:

منع الشتاء من الوصو ل مع الرسول إلى ديارى ⁽⁵⁾
كما أجاد ابن قلاؤس كتابة النثر فيصف المركب وأهله: "ثم ان البحر تخبطه شيطان الموج من مس الرياح ، فلو رأيته وقد شاب في عنفوان شبابه فروع الأطواد بأصول هضابه والحنية ⁽⁶⁾، تدوى أهلها كالخلية بنحلها ، ونحن نصلى لمؤنس يونس وعلى لوح نوح لاسترشدت رأى من أثر الجبل في العصمة وما لحقت بأبيه – لولا وحى الله عز وجل – ولقلت الصخر يقى أبى حضر، هى غنى لمجنوبته ⁽⁷⁾، عليه إلا المنية؟ ولم يزل يدنو كالمجنون ونداريه من الجنون حتى كسته الرخاء ثوب وقارها وامسكت الزعزع عنه كاس عقارها فصح وصحا بعد جنونه وسكره، ونطق منا بلسان المجاز ⁽⁸⁾، بالحقيقة بعد المجاز فوصلنا طرف

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج5، ص 388، وبروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج5، ص 64.
- محمد كامل حسين: فى أدب مصر الفاطمية، ص 259.

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج5، ص 386.

(3) والماء تكسب ماجرى طيبا ويخبث ما استقرا

ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج5، ص 387.

(4) العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 145.

(5) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج5، ص 388.

(6) الحنية : المركب لانحناء شكلها وتقوسها وفى الأصل الحلية.

(7) المجنونة: يريد بها السفينة.

(8) المجاز: يعنى به المضيق الواقع بين صقلية والبر الايطالى.

الحضارة الإسلامية في إقليم الدلتا في العصر الفاطمي

الجزيرة بمسين⁽¹⁾، غرة سنة ثلاث وستين وخمسمائة⁽²⁾.
ومن شعره في الزهر الباسم قصيدة مطلعها:
رافقها مطرب الأغاريد فاسترقت هزة الأماليد⁽³⁾
ودب خمر السرى بأذرعها فهي على البيد في عراييد⁽⁴⁾
وقال في قصيدة يصف فيها البحر وركوبه وقصده أيام وفوده:
سفرت عنك أوجه الأسفار وجرت بالمنى إليك الجوارى⁽⁵⁾
وفى شعره في وصف بركة:
بركة بوركت فنحن لذيتها نستفيد الغمار⁽⁶⁾، في ضحضاح
قطرت من قرارها بعيون غادرتنا بأسرع الالتماح⁽⁷⁾
ومن شعره في وصف مغن:
لا أشرب الزجاج إلا ما بين شاد وشادن⁽⁸⁾
وهكذا نلمس أن الدلتا ساهمت بنصيب كبير في ازدهار الحياة الأدبية في العصر الفاطمي وما تركه علماءها خير دليل على ذلك.

(1) مسيني: بلد بجزيرة صقلية في ركنها الشرقي ولها مرسى كبير تجتمع إليه السفن الكبار والمسافرون والتجار.
انظر العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، حواشي ص 151-152.

(2) العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 151-152.

(3) الأماليد: الأغصان الناعمة.

(4) وغادرتها الصبا بمهلكة
تحمل عن روض عالج خيرا
أجرى عليه السحاب دمع ثج
تفجر الماء في الجلاميد
تسندنه عن طبائنه الغيد
ومزق البرق جبيب معمود

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 152.

(5) فرقنا لك الكواكب يا بدر
وركبنا على عذاب بحار
واعتساف الأخطار يحمل ما
الدياجي على الهلال الساري
أنزلتنا على عذاب بحار
كان طريقا إلى ذوى الأخطار
لتوافي بنا اخا الأمطار
ما امتطينا اخت السحاب الا

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 159.

(6) الغمار: جمع غمر، وهو الماء الكثير.

(7) تسرق للحظة اختلاسا وتمضى
قد صفت واعتلى الحباب عليها
اي درع مصونة النسيج تمتد
نظرة الصب خاف انكار لاح
فهى سيان مع كؤوس الرياح
السواقي فيها بمثل الصفاح

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 161.

(8) الشادن : الغزال إذا طلع قرناه

وان فنييت فعندى الى معادن

ثم يانديمي فانصبت والليل داج لداحن

العماد الاصفهاني: فريدة القصر، ج1، ص 162.

الخاتمة

كانت الدلتا أهم أقاليم مصر، فلقد ساهمت بقسط وافر في النشاط الاقتصادي لمصر في العصر الفاطمي، وفي تنمية موارد بيت المال من الخراج والجزية والمكوس، حيث حصل خراجها نقداً، فأدى إلى ارتفاع زيادة الدخل للخرانة الفاطمية. وانتشرت مراكز جبابة المكوس في الاسكندرية ودمياط والفرما وجنت الدولة الفاطمية أموالاً طائلة من المكوس.

كما فرضت رقابتها على منافذ الدلتا الشرقية في مدينة قطيا، لتحصيل العشر من التجار النازحين من وإلى مصر وبلاد الشام.

ولم تغفل الدولة الفاطمية أهمية المدن الساحلية للأقاليم فانشأت ديوانا عرف بديوان الثغور فضلا عن تحصينها بالقوات الكافية للدفاع عنها من هجمات العدو. وكانت الدلتا تزخر بالثروات النادرة كدهن البلسان ومعدن النطرون حيث فرضت رقابتها الشديدة عليهما ومنعت الأهالي من التصرف فيهما.

ومن دراستي لفصل الزراعة ثبت لي ان الدلتا تمثل أكبر رقعة زراعية على أرض مصر بسبب تكاتف عوامل عديدة نذكر منها خصوبة أراضيها ووفرة مياه الري من شبكة الأنهار والخلجان التي تلتف حولها فضلا عن المناخ الملائم للزراعة. والقمح من أشهر المحاصيل الزراعية بالأقاليم فكان يزرع بكثرة في الحوف الشرقي ويصدر الفائض منه إلى بلاد الحجاز.

كما انتشرت زراعة قصب السكر بوفرة في دمياط والدقهلية والمرتاحية لشدة الطلب على السكر والخلوى بسبب سياسة الحكومة الفاطمية في الحفلات الكثيرة والترف الذي ساد الحياة الاجتماعية آنذاك.

ولم تقتصر شهرة الدلتا على النشاط الزراعي فحسب بل حققت تقدما هائلا في النشاط الصناعي فازدهرت صناعة النسيج وصناعة السكر والعسل وصناعة الزجاج وصناعة الورق، وكانت صناعة النسيج من أهم تل الصناعات حيث انتشرت مراكزها بكثرة في شرق الدلتا و انتجت كافة أنواع الملابس.

ومما يدل على الأهمية القصوى لصناعة المنسوجات امرين:

أولاً: اتخذ الخلفاء الفاطميون من المنسوجات وسيلة للكتابة عليها دعاية لنشر مذهبهم الشيعي.

ثانياً: شدة الطلب على منسوجات الاقليم من قبل الملوك والأباطرة ومحاولتهم الحصول على كسوة السلطان.

ومن دراستي للنشاط التجاري وجدت ان الدلتا تتمتع بشبكة واسعة من الطرق التجارية الداخلية والخارجية، مما سهل حركة مرور التجار عبر الاقليم وظهرت مدن تجارية في كافة انحاء الاقليم لمواكبة ذلك الازدهار وتلبية حاجة التجار. ومن أبرزها الاسكندرية حيث كانت تهوى إليها ركائب التجار برا وبحرا من كافة البلاد، كما برزت دمياط وتنيس والفرما. ونلمس ذلك الازدهار الملحوظ الذي حققته تلك المدن في مجال التجارة من خلال الاشارات الصريحة التي سجلها الرحالة في العصر الفاطمي عن مدن الاقليم بعبارات تفوق الوصف.

ومن خلال دراستي للحياة الاجتماعية اتضح لى ان القبائل العربية من عدنانية وقحطانية نزحت إلى الدلتا عن طريق سيناء واستقروا بكثرة في الحوف الشرقي فكان يشبه مستودها بشريا هائلا واشتغلت القبائل القيسية التي سكنت بليبس بنقل التجارة من مصر إلى مدن القلزم.

كما توغلت الهجرات العربية إلى ثغور الدلتا في دمياط والاسكندرية حيث رابط المسلمون للدفاع عن تلك الثغور من اعتداء الصليبيين وفي اطار معالجتى للحياة الاجتماعية لعناصر السكان وجدت ان التقاليد والعادات التي استحدثها الفاطميون في مصر واضحة المعالم حيث تميزت بالترف والبذخ التي اتسمت به طبيعة العصر الفاطمي من كثرة الاعياد والاحتفالات.

ويمكننى أن أقر بصراحة ان العصر الفاطمي يعتبر العصر الذهبي في مصر الاسلامية وفي مجال الحياة الثقافية لم يقف أبناء الدلتا مكتوفى الأيدي إزاء ما يحدث من ازدهار للحركة الفكرية بالقاهرة، فساهموا فيها بتدريس العلوم الدينية كالفقه والقراءات والحديث والتفسير إلى جانب علم اللغة والنحو، وبرع منهم علماء بارزون كان عليهم مدار الفتوى في البلاد وطبقت شهرتهم كافة أنحاء العالم الاسلامى حيث وفد عليهم طلاب العلم من شرق العالم الاسلامى وغربه للأخذ عنهم.

وكانت الاسكندرية من أكبر مراكز الاشعاع للثقافة الاسلامية في العصر الفاطمي وشهدت هجرة العلماء النازحين من كافة أنحاء العالم الاسلامى.

وكانت الحياة الأدبية حافلة بالثراء وبرز شعراء من الاسكندرية ودمياط أجادوا فن الشعر والنثر، وحرص خلفاء الدولة الفاطمية على استمالتهم للعمل في خدمتهم ومدحهم.